
غرفة الرعب
قصة مثيرة
مليئة بالأسرار والمفاجآت.
بطلها:
"أرسين لوبين"
روايات اليوم

غرفة الرّعب

عشعبان

للكاتب الفرنسي المعروف

موريس لبلان

قصّة بوليسيّة كاملة
بطلها ارسين لوبين

روايات اليوم

- تحرير جديـــد
- اخراج جديـــد
- بالسعر المعتـــاد



سلسلة روائيّة
نصف شهريّة

تصدر عن المكتب التجاري
المديرُ العام
زهيرُ بَعلبكي

المَركز الرئيسي :
بيروت. لبنان. شارع سوريا
ص ب : ٢٦٦٨
تلفون : ٢٤٥٠٣

الأشتراكاتُ :
في سوريا ولبنان: ١٥ ليرة
في الخارج : ٢٥ ليرة
بالبريد الجوي

١٠٠٠٠/٥/١٩٥٦

١

رصاصة في الليل

تبدأ حوادث هذه القصة في الريف الانكليزي ، وفي ليلة من هذه الليالي ذات الطابع الانكليزي الخاص .. من حيث كثافة الضباب ، وبرودة الجو ، وزئير الرياح ، وتتابع المطر ..

ولم تكن المنطقة التي تقع فيها حوادث هذه القصة بعيدة عن لندن ، ولا كانت قريبة منها ..

كانت بين بين .. وكانت مليئة بالمستنقعات بعد المطر التي هطل عليها طيلة الاسبوع الماضي ، وكانت المنازل فيها قليلة متفرقة ، متباعدة بعضها عن بعض .. وقد غشيها جميعاً ظلام دامس ، وبرد قارس ..

ومن عادة سكان الريف ان يأووا الى أسرتهم في ساعة مبكرة بسبب انعدام اسباب التسلية والسهر ، وبسبب بعد المنازل الواحد عن الآخر ، خصوصا اذا كان البرد قارساً ، والظلام دامساً ، على النحو الذي وصفناه ..

ولكن منزلاً متواضعاً كان يشذ عن هذه القاعدة في هذه الساعة المتأخرة من الليل ... وهو منزل لا يختلف كثيراً عن

امثاله من اكواخ هذه المنطقة ، الا ان ضوءاً باهتاً ، كان يشع من احدى نوافذ حجرات الطابق الاسفل منه في مواجهة الطريق ..

فلو تطلع احد المارة في الطريق القريب الى النور المنبعث من هذه الغرفة ، لالفى نفسه امام رجل طويل القامة ، مفتول العضل ثاقب النظرات ، تلمع ابتسامة المكر والمرح على شفتيه ، وقد انهمك في تنظيف بندقية صيد ، على حين رقد كلب صيد الى جانبه ، وبدا كانه يغط في سبات عميق ..

اضاء الحجرة مصباح صغير وضع على المائدة التي كان الرجل جالساً خلفها .. فبدت معالم الرجل واضحة جلية للفضولي من رواد الليل .. كما بدت معالم الغرفة عتيقة الطراز تزين جدرانها صور زيتية ، مما يبعث على الظن بان صاحبها كهل من رجال الدين ، او انه عجوز من العوانس ، بينما كان شاغل الغرفة في هذه اللحظة عصري المظهر ، رائع الشباب ، بادىء الهزوء والسخرية.

ولكن ملابسه لم تكن بالتأكيد مما يتناسب مع مظهره ... كانت ملابس فلاح من سكان الريف ، فسرواله كان قديماً عتيقا ، وصدرته الصوفية حال لونها ، من الابيض الصافي الى لون آخر .. وكان قميصه مفتوحاً ، وان كان رباط رقبته ملقي غير بعيد على المنضدة ..

وكف عن العمل لحظة . . فأشعل لفافة راح ينفث دخانها فيختلط بالضباب حتى لا يكادان يفترقان .. وما لبث ان تناول القدح الفارغ ومضى الى المطبخ ليملأه بالجعة ثانية ..

وفي تلك اللحظة هب الكلب من رقاده بغتة وراح ينبح نباحاً

عالياً ، أتبعه بزمجرة مخيفة .. فأسرع الرجل الى الحجرة حيث وجد الكلب واقفا بجوار النافذة تنثال من فمه الزمجرة المتصـــلة اشبه بالسباب او الوعيد .. فصاح به في جذل :

ـ اسكت ايها الوغد .! ماذا دهاك ..؟هل هناك من يقترب من مملكتنا الصغيرة ؟اسكت ..! فما استطيع ان اسمع شيئا وسط هذه الضجة الحمقاء ..

وكف الكلب عن الهرير في جهد خـارق ، وراح ينظر الى صاحبه بعينين يملؤهما العتاب .. غير انه كان في شاغل عنه ، وقـد وقف بلا حراك في النافذة وراح يرهف السمع من جديد ..

ولكن الصوت لم يتكرر ثانية . وخيـــل اليه ان الصيحة الثاقبة التي سمعها لم تكن صيحة استغاثة ، بقدر ما تشبه نداء رجل رجلاً آخر ليخبره انه عثر عـــلى شيء ما . ولكن منذا الذي يبحث عن شيء في منتصف الليل ، وفي طريق يكسوها الضباب السميك ؟

وكانت الصيحة قد انبعثت ، فيما بدا له ، من الطريق ذاتها .. وهي لا تبعد باكثر من عشر خطوات عن بوابة السياج الخارجي للكوخ .. فتحول عن النافذة ومضى يحضر قبعته وقد اعتزم ان يتحرى الامر بنفسه ..

وفي تلك اللحظـــة وقع شيء لم يكن في الحسبان .. وكان وقوعه مفاجئا بحيث ظل لحظـــة حائراً مبهوتاً يقلب نظراته في ارجاء الحجرة ، على حين عقلت الدهشة لسان كلبه عن النباح ..

فقد دوى بغتة صوت تحطيم زجاج في عنف وشـدة ، وتلاه

صوت ارتطام شيء صلب بالجدار المقـــابل للنافذة .. فلما افاق الرجل من دهشته تبين ان قطعة كبيرة مـن الحجر قد حطمت الزجاج الأعلى ثم ارتطمت بالجدار وسقطت في ارض الحجرة .. وانقلبت الدهشة غضباً ، فمضى الى النافذة وصاح :

- أين هذا الوغد الذي فعل ذلك ؟ .

ثم أسرع يجتاز الحديقة الى الطريق ، باحثاً عن الوغد ، الذي يقذف بالاحجار بيوت الناس في منتصف الليل ، وهو يرجو ان يجده رجلاً قد استبد به الثمل بحيث لا يدرك ما يفعله .. ولكنه لم يجد احداً .. وعاد ينادي من جديد ، فلم يجبه غير صدى صوته يتجاوب من بعيد ..

ولم يدر اي جهة مضى اليها قاذف الاحجـــار ، فان الضباب الكثيف جعله لا يرى أبعد من أنفه .. فراح يرهف السمع جديداً ، وعندئذ ادرك ان كلبه قد تبعه ، ولكنه وقف مطأطىء الرأس ساكن الحراك يتشمم الأرض في قوة .. فنظر الرجـــل الى الأسفل ، فرأى امامه بقعة كبيرة داكنة اللون .. فأشعل عوداً من الثقاب ، وانحنى يفحص تلك البقعة ، وما لبث ان اطلق صفيراً خافتا من بين شفتيه ..

. . .

كانت البقعة لا تزال دافئة لزجة .. كما كانت قانيـة اللون ، بحيث لا يخطىء احـد معرفة كنهها .. كانت بقعـــة كبيرة من الدماء !..

وشدّ الرجل قامته واشعل لفافة جديدة .. وبدا له ذلك السر

عجيبا يثير الدهشة .. فالدماء حديثة العهد ، ما في ذلك شك ولا ريب .. ومن المحقق ان الرجل الذي قـذف النافذة بالحجر هو الذي نزفها .. ولكن لماذا بحق الشيطان لم يلجـأ الى الكوخ — سواء أكان ثملًا أم لا — ليطلب النجدة والعناية ؟.. لماذا قذف الحجر وانفتل هاربا ؟..

وبدأ كلب الصيد يزمجر فجأة ، وما لبث صاحبه ان سمع صوت محرك سيارة ينبعث من بعيـد خافتاً ، ثم يزداد صوته اقتراباً في بطء شديد ..

فأسرع الرجل الى الحديقـة ، وأوصد باب السياج ثم ارتكز عليه بمرفقيه ووقف ينتظر ، وقد ادرك بغريزته ان لتلك السيارة التي تشق طريقها وسط الضباب علاقة وثيقة بذلك المجهول الذي قذف النافذة بقطعة الحجر ، ثم اختفى في احشاء الليل البهيم فجأة كما ظهر فجأة ..

وبدا مصباحا السيارة خلال الضباب ، وما لبثت ان وقفت امام البوابة دفعة واحدة .. وسمع الرجل اصواتاً تعلو على صوت المحرك ، ثم سمع صوت فتـح باب السيارة وغلقه ، ووقع اقدام تقترب من البوابة ..

وكان القادم على وشك ان يضع يده فوق السياج عندما رأى وهج لفافة على قيد اصبع من وجهه، فتراجع الى الخلف مذعوراً ..

وعندئذ ابتدره صاحبنا قائلًا بلهجته المرحة :

— طابت ليلتك! . هل يمكنني ان اسدي اليك خدمة ما ؟..

وجذب انفاس لفافته في قوة حتى ازداد توهجها . . وعندئذ

لمح وجه ذلك الطارق الليلي .. كان وجهـاً ينطق كل ما فيه بأن صاحبه من العنصر الجرماني ، حتى قبل ان يغمغم الرجل بالالمانية قائلا: (طاب مساؤك) وقد اذهلته المفاجأة عن التحدث بالانكليزية.. ولكنه ما لبث ان قال : ألم تر رجلا يسير فى هذا الطريق ؟..

وقبل ان يسمع جوابا ، كان باب السيـارة يفتح ويغلق من جديد ، ووقع الاقدام يقترب من البوابة من جديد .. ولكن القادم هذه المرة كان يحمل مصباحا كهربائيا في يده ، ألقى بضوئه فوق وجه نزيل الكوخ، ثم هبط به حتى قدميه ، متمهلا لحظة عند اليدين الملوثتين بالزيت ، والبنطلون القديم القذر ..

وقال القادم في اقتضاب : هـــل انت هنا منذ زمن طويل يا صاحبي ؟..

وابتسم الرجل في الظلام ، فقد خدع القـــادم من مظهره ، وظنه من العمال .. وما لبث ان أجاب بلهجة اهل الشمال :

— لماذا ؟.. في موسم الكريز القادم أتم ثلاثين عاماً هنا ..

— لست اعني ذلك . . هل كنت تقف بجوار السياج منذ طويل ؟..

ثم تحول وألقى امراً سريعاً على الالماني الذي كان يقف بجواره، فمضى هذا نحو السيارة حيث اوقف المحرك ، على حين كان صاحبنا يجيبـه :

— ربما منـــذ خمس دقائق . . وربما اكثر من ذلك . . لماذا تسأل ؟..

— هل رأيت رجلا يمضي في هذا الطريق ؟..

– أجل .. جافير شيبشانك العجوز . . وكان ثملاً يترنح ، وذلك حوالي السابعة ..

فصرّ الآخر على اسنانه غيظاً ، وقال :

– لست اعني ذلك .. ولكن منذ برهة .. في هذه الدقائق الأخيرة ؟..

– كلا .. لم أر أحداً .. ولكن أي رجل تعني ؟..

وفجأة انبعثت صيحة دهشة من الطريق ، تلاها صوت الالماني هاتفـــاً :

– أميل ! .. تعال حالاً .. وهات مصباحك ..

وألقى نزيل الكوخ بلفافته تحت قدمه ، ووقف ينتظر وهو يعجب فيما سوف يحدث بعد ذلك . فان الرجل الذي دعا أميل كان وقتئذ يفحص بقعة الدماءالتي بدت لهجلياً في ضوء مصباحي السيارة .. ولم تمض لحظة حتى عاد أميل إلى البوابـــة ، وقال في هدوء :

– أصغ إلي أيها الرجل .. هل هذا كوخك ؟..

– انه كوخ أبي ...

– وأين هو ؟ ..

– لقد ذهب اليوم إلى نورويش ..

– إذن فأنت بمفردك الليلة ؟..

– تماماً .. يا مستر ...

وعندئذ قال أميل في شيء يشوبه الوعيد :

– هل أنت واثق من ذلك تماماً ؟..

ـ طبعـــا ...

وومض المصباح الكهربائي مرة أخرى . فرأى على ضوئه مسدساً كبيراً مصوباً نحوه ، على حين قال الآخر :

ـ تعال إلى الداخل .. هيا سريعاً فاني في عجلة ..

فلما احتوتهما الردهة استطرد الطارق قائلاً :

ـ ماذا صنعت بالرجل الذي جاء إلى هنا منذ قليل ؟ ..

ـ لقد أخبرتك بأنني لم أر أحداً قط .. ولعل من الأفضل ان تلقي بهذه اللعبة جانباً فربما انطلق الرصاص من تلقاء نفسه .. ويا له من حادث عجيب ، في منزل المرء نفسه !..

وجلس نزيل الكوخ في مقعد كبير بجوار الموقـد ، وراح يربت على رأس الكلب ، ولكنه كان في الواقـع يحاول أن يخفي رباط رقبته الموضوع على المنضدة بجانبه ، إذ لم يكن من المستساغ أن يكون من النوع الفاخر ، وعليه اسم أحد متاجر لنـــدن الشهيرة ، بينما يبدو هو في زي العمال من أهل الشمال ..

وبدا له ذلك الرجل المسمى أميل أجنبياً ، وان كانت لهجته الانكليزية لا تشوبها شائبة .. كما أن ثيابه كانت بالغة الأناقة ، وفي أصبع يده اليسرى خاتم ثمين ترصعه ماسة زرقاء نفيسة ..

ونجح في إخفاء رباط الرقبة في جيب بنطلونه ، فاستوى قائماً ، وواجه الغريب قائلاً :

ـ اصغ إلي يا مستر .. لقد سئمت حماقتك ، وهاك المنزل كله ففتشه اذا شئت ، ثم أرحني من وجهك الكئيب ..

ولكن أميل لم يعره التفاتاً .. وهوت يـــده بالمسدس إلى

جانبـه .. كان وقتئذ يحملق في النافذة المكسورة ، وفي قطعة الحجر الملقاة في وسط الحجره .. وما لبث أن قال في بطء :

– متى حدث هذا ؟..

– وما شأنك به أنت ؟ ..

فصاح به ملوحا بالمسدس : صه أيها الأحمق !..

ثم انحنى فالتقط الحجر ، وراح يفحصه ويزنه بيده .. وعندئذ تحول إلى الآخر وراح يتفرس فيه بعينين سوداوين عميقتين وقال :

– متى حـــدث ذلك ؟.. ومن الذي ألقى بهذا الحجر على النافـــذة ؟ ..

– لعنة الله عليّ إن كنت أعرف شيئاً عنه يا مستر ...

– ولكن متى حدث ؟..

فتردد الرجل لحظة يسيرة، ولكنه عوّل على ان يقول الحقيقة، فقد يساعده ذلك على إلقاء ضوء على ذلك السر الذي كان يزداد كثافة لحظة بعد اخرى :

– منذ عشر دقائق.. وهذا هو الذي جعلني أخرج الى السياج..

فحدجه أميل بنظرة قاسية ، وقال :

– هكذا ؟.. وهل لم تجد الرجل الذي قذف بالحجر ؟..

– كلا ..

– ألم يكلمك أو يناديك؟..

– كلا ..

– وماذا فعلت بعد ذلك ؟..

– التقطت قبعتي وخرجت الى الحديقـة ومعي الكاب ..

– ولكنك لم تر له اثراً ؟ ..   – ابداً ..

ومضى أميل الى النافذة وهتف يدعو رفيقه ، ثم انتحيا ركناً وراحا يتحدثان طويلًا في صوت خافت بالألمانية ، لم يسمع منه نزيل الكوخ إلا هذه العبارات « ريفي غبي » و « نضيع وقتنا » ، وكان من الجلي انه استطاع ان يضللهما فاعتقدا أنه من عمال الشمال .. ولكنه كان بعيداً كل البعد عن معرفة حقيقتهما .. وأخيراً سمع احدهما يقول : « الافضل ان نتحقق من الامر » .. ترى ما الذي يبغيان التحقق منه ؟

ولم يطل تساؤله ، فقد مضى الآخر يفتش حجرات المنزل واحدة بعد الأخرى ، وما لبث ان عاد فقال لأميل :

– لم أجد شيئاً ..

فأمره ان يفتش الرجل نفسه ، ولكن هذا تراجع خطوة الى الخلف وهو يصيح :

– ماذا تريد أن تفعل ؟.. وبأي حق ؟..

– ارفع يديك ..

وكان الأمر حاسما مقتضبا .. كما أن فوهة المسدس المصوبة إلى رأسه حسمت كل معارضة من جانبه .. فأطاع صاغراً حانقا .. لا لأن في جيوبه شيئا مريباً – عدا رابطة الرقبة اللعينة – بل لأن هذين الرجلين قد مضيا شأواً بعيداً في عدوانهما .. ومن الجلي أنهما يبحثان عن شيء معين .. فما هو ؟.. وما الذي يمكن أن يتوقعا العثور عليه فى جيب عامل غبي ، كما يعتقدان ؟..

وأخيراً انتهى التفتيش .. وكانت ربطة الرقبة قد القيت في

غير عناية فوق المائدة عندما أخرجها الرجل من جيبه .. ولكنهما لم ينتبها الى اسم المتجر المنقوش عليها .. وعادا يتهامسان طويلاً مرة اخرى ، ولكن حديثهما كان من الخفوت بحيث لم يتبيـــن الرجل كلمة واحدة منه .

وأخيراً بدا الاقتناع في وجه اميل ، وأومـأ برأسه مرة أو اثنتين ، فعاد رفيقه الى السيارة وأدار المحرك ، على حـين أخرج اميل حافظة نقوده وهو يقول :

– هل يمكنك أن تطبق شفتيك يا صاحبي ؟..

وأخرج ورقتين من ذات الجنيه ، فأجاب الآخر :

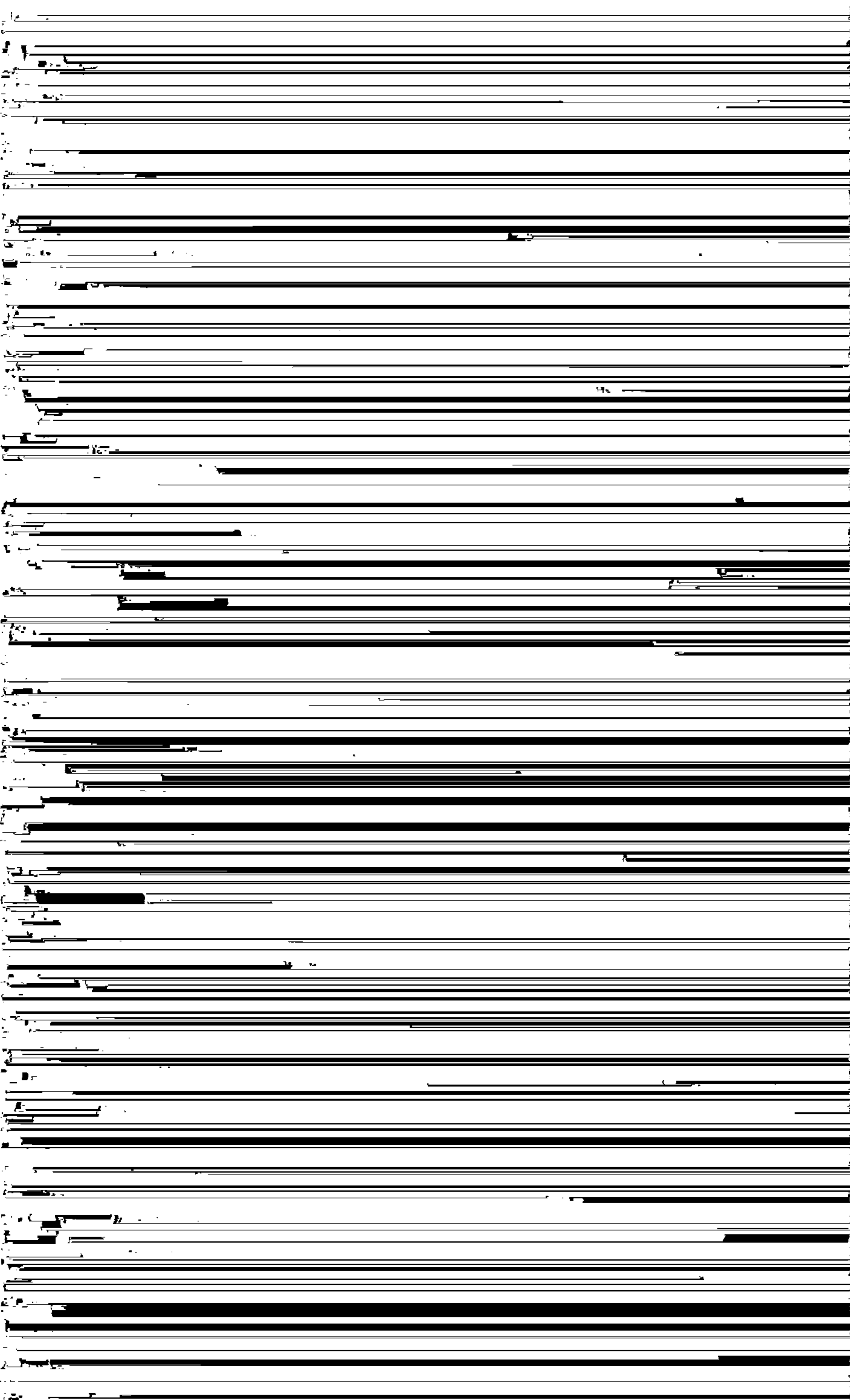
– إذا كان الأمر كذلك يا مستر .. فلن يعلم أحـد شيئاً ..

– لقد فرّ أحد المجانـين من مستشفى خاص .. وهو الذي قذف نافذتك بالحجر .. ولذلك فاننا نبحث عنه ، ولكننـــا لا نحب ان يعرف أحد عن الأمر شيئا .. وهاك ما يكفي لاصلاح زجاجك ..

ووضع الجنيهين على الخوان .. فنظر اليهما الآخر في نهم وجذل ، بينما استطرد أميل :

– وسوف أعود من هذه الطريق بعد يومين أو ثلاثـة ... وسأتحرى الامر .. فاذا وجدت أن أحداً لا يعلم شيئاً مما حدث ، فلك ثلاثة جنيهات أخرى .. أما اذا وجدت القوم على علم بـه ، فعندئذ .. كان الله في عونك !.. هل تفهمني جيداً ..؟

ونطق بهذه العبارة في هدوء عجيب جعل الآخر يتفرس فيه متعجباً ، وقد أيقن أن أمامه أفعوانا ناعم الملمس شديد الخطر..



السيارة من جديد ، فتمهل في سيره ، وراح يحـاذر في تقدمه ويلتصق بالأعشاب النامية على حافـة الطريق ، حتى لمح خلال الضباب الخفيف الضوء الأحمر الذي يشع من مؤخر السيارة كما سمع أصواتا مختلفة تتحدث في انفعال ..

وراح يتقدم في حذر وخفـة .. ولكنه لم يكد يدنو من السيارة حتى أطلق لها سائقها العنان فمضت تشق الظلام ثانية ، وعاد السكون يشمل المكان من جديد ..

وأخذ الرجل يتفحص الطريق وهو يعجب ما الذي وجـده الرجلان في تلك البقعة بالذات وأطلقا الرصاص عليه ؟.. أهو الرجل الذي يبحثان عنه ؟.. الرجل الذي يرجح أن يكون هـو الذي قذف نافذته بالحجر ؟..

وعندئذ جاءه الجواب سريعا .. فعند حافة الطريق كانت بركة من الدماء الداوية .. فغمغم قائلاً :

ــ لقد نزف المسكين معظم دمه .. ولكن اين هو ؟..

وراح يبحث حواليه على ضوء أعواد الثقاب ، دون أن يجـد شيئاً .. فرجح أن يكون الرجلان قد حملا ضحيتهما إلى السيارة معهما .. واعتزم أن يعاود الكرة في الصباح بحثاً عن الآثار التي يمكن أن تكون في الطريق ...

وعاد الى كوخه وهو يضع يديه في جيبي بنطلونه .. وكان يمعن التفكير في الامر ويقلبه على مختلف وجوهه دون ان يجد له تفسيراً . فلماذا لم يلجأ الجريح الى الكوخ مباشرة بدلاً من أن يقذفه بالحجر ، ثم يمعن في فراره أكثر من ربع ميل وهو يعلم ان

هناك من يطارده ؟.. واذا كان لم يلجأ الى الكوخ لعلمه انهما سوف يفتشانه فلماذا قذفه بالحجر ؟.. وما غرضه من ذلك ؟..

واجتاز السياج ثانية ثم مضى الى باب الكوخ.. وعندئذ وقف جامداً مكانه ، وقد ضاقت عيناه... فان الأشياء التي كانت فوق المائدة قد حركت من مواضعها.. والبندقية نفسها لم تكن حيث وضعها .. فمضي الى المائدة في سكون ، ففتح درجها ، فوجد الدليل الحاسم على صدق شكوكه .. كان بالدرج بعض الاوراق الخاصة ، فألفاها مفضوضة وقد نحيت جانباً ... اذن فقد كان بالحجرة شخص ما خلال غيابه ... ومع ذلك فما زال الجنيهان في موضعهما فوق الخوان .. ومعنى ذلك أن الزائر لم يكن من اللصوص ،وانما هو شخص ترك في ذلك الموضع ليراقب الكوخ ، فانتهز فرصة خروج صاحبه ليفتشه من جديد .. ولكن أين ذهب الرجل بعد ذلك ؟..

وخرج إلى الحديقة من جديد ، ثم نادى كلبه قائلاً :

ـ ابحث عنه يا جيري .. ابحث عنه وهاته ...

وتطورت الحوادث سريعاً .. فقد انقض الكلب على خميلة للزهور في ركن الحديقة .. ودوت صيحة ذعر مروعة .. تبعها صوت أقدام تعدو في سرعة كأن الشيطان في اعقابها .. وما لبث الكلب أن عاد منكس الرأس ، يعرج على أرجل ثلاث ، وبين اسنانه قطعة من بنطلون فريسته الذي افلت منه ..

وعاد الرجل وكلبه الى الحجرة بعد ان اوصد الباب في إحكام . ثم وقف بجوار النافذة يحاول ان يخترق الظلام بنظراته النفاذة ..

وفي الوقت نفسه كان يعبث باستخراج قطع الزجاج من النافذة، عندما لمست يده فجأة قطعة من الورق ..

كانت ممزقة كثيرة الثنايا . . ولكن الكلمات التي سطرت عليها في لون احمر قان . . كانت لا تزال مقروءة . . وكانت كثيرة الغموض . . بحيث ظل لحظة طويلة يتأملها وقد استغرق في التفكير . . وإلا فما معنى هذه الكلمات : «ماري جان . . عاجل . . جسر . ج . ج . ا . ٥ »

وما من شك في ان هذه الورقة كانت ملفوفة حول قطعة الحجر التي قذفت بها النافذة . . وقد وضح ذلك السر الذي ظنه من فعل معتوه او سكير . . وما من ريب كذلك في ان هذه القصاصة هي ما كان الرجلان يبحثان عنه في الكوخ وفي جيوبه . . ولكن احداً منهما لم يخطر بباله، ان يبحث عنها في مصراع النافذة اذ انفلتت من الحجر واشتبكت بشظايا الزجاج ..

وثنى الرجل الورقة في عناية ثم وضعها في جيبه وهو ما يزال ممعناً في التفكير . . ولو هيء للسيد اميل أن يرى النظرة التي ارتسمت في عيني نزيل الكوخ ، وهو يطفىء المصباح ويمضي الى فراشه ، لأقض مضجعه السهاد في ليلته هذه ، ولأدرك أي بلاء سوف يلقاه من ذلك الذي خاله عاملاً ريفياً غبياً !..

. . .

ذلك ان هذا العامل الريفي الغبي لم يكن غير ارسين لوبين . .

جاء الى الريف الانكليزي لقضاء ايام في الصيد والقنص ، في كوخ مرضعته فيكتوار ، وكان قد ابتاع لها لوبين هذا الكوخ،

باسم مسز اسكديل لتقضي فيه بقية ايامها ..

وكذلك ما كاد لوبين يصل الى الريف ، حتى لحقته المتاعب ، وتبعته المفاجآت والمشاكل ، ولو ان حوادث الليلة التي وصفناها وقعت لسواه لأمسك عن الاهتمام بها ، ولألقى بها جانباً في صباح اليوم التالي ، ولكن لوبين حين أوى الى فراشه بعد منتصف هذا الليل ، كان قد اعتزم بحث هـذه الاسرار التي مرت به في ليله ، ممنياً نفسه بمغـــامرة جديدة ، ومفاجآت مرعبة ، لأنه كان من اقصى امـــانيه ، البحث عن المتاعب ، والجري خلف المشاكل والمصاعب ..

٢

سر الفتاة

مضى (لوبين) ليلة هانئة في هذا الكوخ المنفرد ، وفي وسط هذه الليلة المليئة بالاحداث والمفاجآت ..

فلما اصبح صبـــاح اليوم التالي ، غادر سريره ليقوم ببعض الاعمال الرياضية كما كان من عادته ان يفعل في صباح كل يوم ...

وبينما هو في شأنه هذا ، سمع صليل غطاء الخطابات ..

فأطل من النافذة ، فشاهد موزع البريد العجوز يحاول ان يضع رسالتين في صندوق البريد الخاص بالكوخ .. ورءآه موزع البريد فحياه باحترام واخبره ان معه خطابين للسيدة اسكديل .. فطلب منه لوبين ان يضعهما في الصندوق إذ أنها سوف تحضر اليوم من لندن .. وكاد الرجل يمضي لشأنه لولا انه لمح الزجاج المكسور فهتف يقول :

ــ يا آلهي .. لقد كان سليماً بالامس ..

فاجابه لوبين ضاحكاً :

ــ لقد اصابني عسر هضم خلال الليل يا جو .. ولعلك لا تجهل ان اكل الزجاج خير دواء لمثل هذا الداء ..

– كذا .. ولكن يخيل اليّ ان احدى السيارات قد اصابها عسر الهضم ايضاً في هذا الطريق يا سيدي ، فلم ار في حياتي بركة من الزيت بهذا الحجم .. اذ انها تبلغ عشرة امثـــال تلك التي امام البيت ..

فاهتز لوبين لهذا الخبر وقال :

– ما الذي تقوله يا جو .. هل وجدت زيتاً امام البوابة ..؟

واسرع يرتدي ثيابه ، ويمض الى الخارج ، فاذا به يري ان العجوز لم يكن مخدوعاً ولا مسرفاً فيما قاله .. فقد كان الزيت يغطي بقعة الدم التي شاهدها عند منتصف الليل ...

وحياه موزع البريد وانصرف لشأنه، وترك لوبين يتأمل البقعة التي كان الدم يغطيها ويخفيها .. فغمغم يقول لنفسه :

– ان في الامر لسراً بالتأكيد ..

وأسرع يجتاز الطريق إلى موضع البقعة الكبيرة الاخرى التي رآها منـــذ ساعات على بعد ربع ميل ، فوجدها مغطاة بالزيت كذلك .. وعندئذ وقف يدخن لفافته مفكراً .. فما من ريب ان الزيت لم يوضع فوقها ساعة ذلك الحادث ، فهو واثق من ذلك كل الثقة، وما من ريب كذلك في ان شخصاً قد عاد بعد ذلك ليخفي اثار الدماء بهذه الطريقة السخيفة، لأن الزيت لايسيل من السيارات بمثل هذه الوفرة .. كما أنه زيت جديد وليس من الزيت المستعمل الذي يسيل من آلات السيارة ..

وعاد الى الكوخ ، فمضى الى المطبخ ليغلي قدحاً من الشاي .. وفيما هو كذلك سمع قرعاً على الباب ، تبعها نباح الكلب فصاح :

– أدخل .. سوف أحضر حالاً ...

وعندئذ سمع صوتاً أشبه بتغريد البلابل يقول :

– ولكن هل الكلب يعض ؟..

فأجفل لوبين، واسرع الى الباب الخارجي وهو ينتهر الكلب، واذا به يرى فتاة في نحو الخامسة والعشرين من العمر، ذات حسن خارق، وفتنة جارفة، ترتدي ثياباً أنيقة ... فغمغم قائـــلا في عجب :

– معذرة، فقد كنت اتوقع قدوم مرضعتي العجوز ..ولذلك اذهلني ظهورك المفاجيء ... هل لك ان تتفضلي بالدخول ؟..

وحدقت الفتاة النظر اليه لحظة، فخيل اليه ان في نظراتها لمحة من العجب والدهشة ثم قالت :

– لقد تعطلت سيارتي في الطريق على قيد خطوات من منزلك فهل اجد لديك تليفوناً أتصل به لأحضر من يصلحها ؟

– اخشى أن تكون آلات التليفون نادرة في هذه المنطقة .. ولكني قـــد استطيـع اصلاح العطب بنفسي، فاذا عجزت فان سيارتي سيحضرها احد العمال الي هنا بعد قليل .. وفي وسعه ان يرى ما يمكن عمله من اجلك .. هيا بنا نراها اولاً ...

وترددت الفتاة لحظة خاطفة، وما لبثت ان سارت معه نحو سيارة صغيرة ذات مقعدين كانت تقف في جانب من الطريق على قيد مائة ياردة من الكوخ وفي أثناء ذلك قالت :

– إذن فلديك سيارة ؟.. لقد حسبت ذلك اندر من آلات التليفون هنا ..

ـ ذلك بالنسبة للسكان الأصليين .. أما انا فلست إلا من الزائرين ..

فعادت تحدق النظر اليه وقد بدت الحيرة في أساريرها، وقالت :

ـ لست أفهم تماما .. فأين تقيم عادة ؟..

ـ في لندن .. حيث أرجو أن يتاح لي ان أجدّد هذا التعارف ..

ـ ولماذا بحق السماء أتيت الى مثل هذا المكان ؟..

ـ للاستمتاع بمثل هذه المفاجأة .. إذ أن المرء لا يتوقع أن يجد حسناء مثلك على عتبة الباب في الصباح مع زجاجـــة اللبن والصحف !..

وعلى رغم الابتسامة الشاحبة التي لاحت على شفتي الفتاة ، فان علائم الحيرة لم تفارق أساريرها ، وهي تمضي قائلة :

ـ إنك شخص عجيب !.. ولكن متى جئت الى هنا ؟..

ـ منذ يومين فقط .. والآن دعينا نر ما أصاب سيارتك ..

وتقدم يفتح غطاء السيارة ، فما كاد يفعل حتى سمع أنة خافتة، فالتفت الى الخلف حيث رأى الفتاة قد أغمضت عينيها وتشبثت بباب السيارة لتتقي السقوط .. فأسرع نحوها يسألها عما أصابها ، فغمغمت في همس ضعيف :

ـ هل لك أن تحضر لي قدحاً من الماء .. انني اشعر بدوار شديد ..

ـ بلا ريب .. اصعدي الى السيارة ريثما أحضر الماء ..

وعاد بعد لحظة يحمل قدح الماء ، فوجدها قد انتعشت قليلاً، وهي تبتدره قائلة :

- معذرة لما سببته لك من عناء .. ولكني لم اتناول أي شيء من الطعام ..

- يا إلهي !.. هذا مرض يجب ان نعالجه في الحال .. هيا بنا الى الكوخ ..

وعادا أدراجهما معاً ، فاستطرد يسألها :

- الى اين كنت ذاهبة في هذه الساعة المبكرة دون إفطار ؟.

- الى قصر خالي القريب من كمبردج .. فقد أرادني على التبكير في الذهاب لأشترك في مباراة للتنس يقيمها بعد ظهر اليوم .. ولكن يا الهي !.. ما الذي أصاب النافذة ؟.. انني لم انتبه اليها الا الآن ..

- لقد اراد احد السكارى ان يداعبني فقذفني بحجر .. ولست ادري ماسوف تقوله مرضعتي حين تراها ..

- اتتوقع قدومها وشيكاً ؟..

- في أية لحظة من الآن ..

وصبّ الشاي في قدحين وضعهما على المائدة ، ثم مضى الى المطبخ ليحضر البيض ، وهو يصيح بها في جذل :

- ضعي بعض اللبن في قدحي أيتها الحورية .. وقطعتين .. من السكر ..

ولم يطل تمهله اثناء العبارة الأخيرة إلا جزءاً من الثانية .. ولم يطل ايضاً وقوفه جامداً بلاحراك الا هذا الجزء من الثانية .. ولكن عينيه ظلتا معلقتين بالمرآة الموضوعة فوق المغسلة ، والتي كان يرى فيها صورة الفتاة وهي تجلس الى المائدة .. فقد رآها

تضع في قدحه مسحوقاً ليس من اللبن او السكر في شيء ..
ومضى يثرثر في القول وهو يجلس امامها ، ولكن عقله كان يعمل في سرعة وتفكير .. فهو يعلم ان عينيه لم تخدعاه ، ومن ثم كانت المفاجأة شديدة الوقع في نفسه ،فما خطر بباله قط ان تكون الفتاة شيئاً آخر غير الذي يدل عليه مظهرها .. اما الان فقد تغيرت نظرته الى الأمر ..

وإذا كان ذلك المسحوق الذي رآها تضعه في قدحه مادة مخدرة ، ولا ريب انه كذلك ، فلا ريب كذلك ان الفتاة ليست إلا من افراد عصابة الليلة الماضية .. ومن ثم بدا له سبب الحيرة التي تملكتها ، جلياً واضحا .. فقد كانت تتوقع ان ترى امامها « عاملًا غبياً » ولكنها وجدته هو !..

وهو يعلم تماماً انها لم ترتب في رؤيته لها وهي تدس المخدر .. فمن المحتم والأمر كذلك ان تظل على هذا الجهل .. وفي الوسع تدبير امر الشاي في يسر وسهولة .. وما هي إلا ان سقطت السكين من يده وهو يقطع الخبز ، وانحنى ليلتقطها ، حتى صدم مرفقه قدح الشاي فأراقه على المائدة وعلى بنطلونه .. فنهض يعتذر قائلًا :

- يالى من أحمق .. ! ولكن يا الهي .. ان الشاي شديد الحرارة ..!

واستأذنها ان يذهب لاستبدال ثيابه فقالت :

- بلا ريب . . ولكن يا مسكين انت !.. لا ريب ان الشاي قد أحرق جلدك ! .

وكانت اساريرها تنطق بالعطف والشفقة لما أصابه .. فلم تختلج عيناها أسفاً على فشل خطتها . . وكان لوبين يفكر اثناء استبدال ثيابه فيما عسى ان تكون خطوتها التالية .. ولا ريب انها كانت تريد من تحذيره ان تقوم بتفتيش الكوخ بحثاً عن تلك الرسالة التي بلغ من اهميتها انهم يلجأون الى مثل هذه الاساليب في محاولة العثور عليها ..

وعندئذ لم ير خيراً من اعدام هذه الرسالة ، بعد ان ينقش كلماتها في ذاكرته . . فأخرجها من بطانة قبعته ، وراح يتأملها في امعان ، ثم أشعل ثقاباً أحرقها به حتى صارت رماداً ذره في الهواء ..

وما كاد يعود ويجلس قبالتها حتى سمع دوي العجلات في الطريق ،وان هي الا لحظة حتى كانت مسز اسكديل تقف بالباب فاغرة فاها وهي تتأمل الزجاج المحطم .. فصاح بها لوبين مرحاً :

ـ انه احد السكارى يا أماه .. وقد اقتضيته جنيهين ثمناً للزجاج .. وهذه سيدة جميلة اصاب سيارتها العطب أمام الكوخ فدعوتها لتشاطرني طعام الافطار .

فقالت الفتاة : من حسن الحظ انها تعطلت هنا .. فلست أدري ما عساه كان يصيبني لو لم اجد هذا الشاي اللذيذ .. وهذا الكوخ الجميل ..

فنظرت اليها العجوز في ريبة فهي تعرف لوبين حق المعرفة ، وتعرف ان وجود فتاة جميلة معه مما يريب حقاً ..

ومع ذلك فلم تمض ساعة حتى كانت الفتاة قد أخذت بمجامع

قلبها . . حتى اذا ما حضر العامـــل بسيارة لوبين كانت العجوز شديدة الاسف على فراقها . .

وكان لوبين قد عجز عن اصلاح السيارة بعد محاولة طويلة . . فطلب الى العامل ان يفحصها وصحبه اليها ، فما كاد الرجل يمضي في فحصه قليلا حتى تبدت الدهشة في وجهـه ونظر الى لوبين قائلا :

ـ أتقول يا سيدي إنها كانت تسير جيداً ثم تعطلت فجأة ؟..

ـ هذا ما تقوله السيدة . .

ـ ولكن ذلك أعجب شيء رأيته.. ولا أدري بحق الشيطان كيف يمكن أن يحدث .. أترى هـذا الشيء الذي امسكه بين اصابعي ؟.. انه مجمع الأسلاك التي تتمم الدورة الكهربائية ؟ وما لم يكن نظيفاً جافاً فلا يمكن للسيارة ان تتحرك اصبعاً واحداً.. وها أنت تراه غارقاً في الزيت ، فكيف أتاه الزيت بالله عليك؟..

ـ ربما كانت احدى الانابيب قد رشحت . .

ـ محال ان يحدث ذلك في هذا الموضع ، إذ لا توجد أنبوبة للزيت بالقرب منه . . فاذا كانت السيارة قد سارت جيداً ـ كما تقول السيدة فلا ريب ان الأسلاك كانت جـــافة نظيفة . . فكيف اتاها الزيت اذن ؟.. لا بد انه لم يأت من تلقاء نفسه !..

وأضاءت هذه العبارة السبيل أمام لوبين ، فارتسمت الابتسامة على شفتيه وهو يرقب الفتـاة تداعب الكلب امام الكوخ .. ثم سأل العامل : كم من الوقت يستغرقه اصلاح العطب ؟

فأجابه ان ذلك سوف يطول زهاء ساعتين . . وكانت الفتاة قد بدأت تسير نحوهما ، فأسرع يقول للعامل في هدوء :

– اصغ إلي ، وسوف اجزل لك العطاء .. قل انك لم تعرف سبب العطب ..

واستطرد يصيح بالفتاة وهي تدنو : ان الخبير قـد فشل في فحصه حتى الان ..

– رباه ! . ماذا عساي فاعلة الآن ؟.. لا ريب ان خـالي المسكين سوف يقلق كثيراً ..

فضحك لوبين وقال : لن يحدث ذلك وانا هنا .. ما قولك في ان تصحبيني في سيارتي فأذهب بك الى قصر خـــالك في طريقي الى لندن ؟..

فنظرت اليه الفتاة في ريبة ، على حين قطب الميكانيكي حاجبيه بعد ان خيل اليه انه قد فهم سر هذه اللعبة .. ثم غمغمت :

– لم اكن أود أن أسبب لك هذا العناء ، فان المنزل بعيـد عن طريقك ..

– لا عليك ، فما زال الوقت مبكراً . ولكن الى اين يذهب الرجل بسيارتك بعد اصلاحها ؟.. الى منزل خالك ؟..

فترددت لحظة ، وقالت :

– لعل الأفضل ان يأخذها الى جراج (كانابي) في كمبردج .. هل تعرفه ؟..

– نعم ايتها الآنسة ..

فالتفتت الى لوبين قائلة :

– ان خالي يتعامل مع هذا الجاراج منذ عهد قريب ، ومن الصعب ان اصف للرجل موضع القصر .. ولذلك فضلت ان

يأخذها الى الجاراج . وسأتصل بهم تلفونياً ليدفعوا له ما يطلبه..

فلمس العامل قبعته وهو يومىء موافقاً . ثم ظل يرقب الاثنين وهما يعودان الى الكوخ،دون ان يفارقه ذلك القطوب ،خصوصاً عندما عاد لوبين وحده ومنحه جنيهاً،وهو يأمره بأن يأخذ السيارة الى الجاراج دون ان يقول لاحد شيئاً عن سبب العطب.. ولكن الذي زاد من حيرة الرجل انما كان معنى تلك البرقية التي كلفه بارسالها اذا لم يقابله في الجاراج حتى الظهر ، والتي كان نصها : « روجر ، نادي سنيور الرياضي ، لندن .. البهو ، العنكبوت ، كمبودج .. ارلو.. »

. . .

كان شديد الابتهاج من صحبة الفتاة ،لا لحسنها الرائع وفتنتها الجارفة فحسب ، ولكن لما تتيحه له رفقتها من التغلغل الى اعماق السر الذي يشغله .. وكان يعجب أشد العجب مما يدعو مثل مس فينابلز – كما عرف اسمها – الى الاندماج في عصابة أميل واعوانه .

وكان يفكر في ذلك في الفترة التي قضاها في السيارة بمفرده في احدى القرى،عندما سألته الفتاة ان يقف ريثما تتصل بعمها تلفونياً لتنبئه بتأخرها ، بينما الواقع انها كانت تريد تحذيره .. وكان من الجلي ايضا انهاوضعت الزيت فيمحرك السيارةلتعطلها عندماافتعلت الاغماء ومضى ليحضر لها كوبة الماء . وقد فعلت ذلك عندما تبينت فداحة الخطأ الذي وقع فيه أميل وشركاه عندما حسبوه عاملاً ريفياً غبياً ، فكان هذا العمل من جانبها دليلاً على حدة

ذكائها وسرعة خاطرها .. ولم يكن غرضها من كل ذلك إلا وضع المخدر في شرابه ثم تفتيش الكوخ .. ولكنه لم يتبين جلياً سبب رغبتها في ان يقابل خالها .. ومن جديد راح يعجب ان كان هذا الحديث التلفوني الذي طال مداه ... لا يرمي الى اعداد استقبال حافل له ، من طراز اقاء اميل له ..

وكان مبتهجاً إذ لم تعرف الفتاة أنه خدعها . وما من ريب انها كانت ترتاب فيه ، لمجرد ادعائه ليلة الأمس انه من العمال ، ولكذبه في الحديث عن النافذة المحطمة .

وعادت بعد برهة ، فاعتذرت له عن غيابها طويلًا ، بأن خالها في ضيق شديد ..

ثم اضافت :

— لست احب ان اضايقك كثيراً يا مستر أرلو . ولكن هل لك ان تأخذني الى قرية نورونش ؟.. سوف ابحث عن شيء هناك ولن اعوقك اكثر من دقيقة .

وكان لوبين قد انتحل امامها اسماً مستعاراً ليس سوى المقطعين الأولين من اسمه الحقيقي .. فأجاب :

— بلا ريب يا عزيزتي .. فلست في عجلة من امري ، ولا يزال اليوم في اوله ..

ورمقها بركن عينيه .. فوجدها تجلس ساهمة تحدق النظر الى الأمام وقد بدت في اساريرها علائم التفكير العميق .. وظلت كذلك دون ان يتبادلا كلمة واحدة ، حتى بلغا نورنش حيث قالت عندما وقفت بهما السيارة بجوار الكنيسة :

ـ هل لك أن تنتظرني هنا ؟.. سوف لا أغيب كثيراً ..

وكان من السخف أن يتبعها ويقتفي أثرها في وضح النهـــار وفي بلدة صغيرة كهذه ، فانه لا يريد ان يثير في نفسها الشكوك من ناحيته .. ولكنه كان يعجب مما دعاها الى تغيير خطة سيرها على هذا النحو ..

ولم تغب الفتاة دقيقة كما زعمت ، وانما طال غيابها حتى بلغ العشرين دقيقة .. وكان يبدو في محياها وهي قادمة نحوه ان مهمتها لم تلق نجاحاً ، إذ زاد قطوبها وشرود ذهنها .. وصعدت الى السيارة دون ان تفوه بكلمة واحدة ، فسألها :

ـ هل نذهب الى كمبردج، أم لا يزال لديك ما تفعلينه هنا؟.

ـ كلا شكراً .. لقد وجدت ما أردت ان اعرفه ...

ـ اخشى ان تكون النتيجة غير مرضية ؟

ـ انها لكذلك حقاً، ولست ادري كيف ابلغ الأمر الى خالي..

فقال في هدوء ورفق :

ـ اصغي الي يا مس فينابلز .. انني لا اريد ان ابدو متطفلاً او ازج بنفسي فيما ليس من شأني . ولكن الا يمكن ان اقوم بأية خدمة لك ؟..

وظلت برهة لا تحير جوابا . . ثم بدا أنها قد أعملت فكرها فقالت فجأة :

ـ مستر أرلو .. ألم تسمع شيئا عن جمعية المفتاح الفضي ؟

ـ انها المرة الأولى .. ولكن الاسم يبدو لي رقيقاً ..

ـ ان هذه الرقة لاتعدو الاسم فقط . ولكنها أشد الجمعيات

السرية خطراً في أوروبا هذه الايام ..

– من يعش ير . . ولكن مـا علاقة هؤلاء الناس بحياتك الشابة ؟ . .

– لا شيء يختص بي ، ولكن بخالي . .

– أهو أجنبي ؟

– يالله ! . . انه انكليزي مثلك ومثلي . .

وران عليهما الصمت بعد ذلـــك ، بينما كان لوبين يفكر فيما سمعه . . وبدا له انه اذا أراد المزيد من المعلومات فعليه أن يشير الى زواره الليليين ، فقال :

– من العجيب ان نتحدث عن الأجانب بعد ان تلقيت زيارة اثنين منهم في الليلة الماضية . . كانا من الالمان . .

فصاحت في دهشة مفتعلة جعلت لوبين يعجب برقة تمثيلها :

– ماذا ؟ . أنت ؟ . . تُرى ما الذي كانا يبغيانه منك . . ؟

– لعمري لست أدري يا مس فينابلز . . فقد كانا يتحـدثان طويلاً دون أن أفقه ما يريدان . . كما ان احدهما يدعى أميل . .

– أميل؟ . ترى هل يضع في أصبعه خاتما ذا ماسة زرقاء . . ؟

– إنه الوغد نفسه . . هل تعرفينه . . ؟

فتمهلت الفتاة قبل ان تجيب :

– مستر ارلو . . إنه أحد زعماء جمعية المفتاح الفضي . .

– أهو كذلك حقاً ؟ . . لقد اعتقد بالأمس انني مزارع بسيط ساذج ، فتركته يعتقد ما يشاء . . وكان وصوله بعد زمن وجيز من مرور ذلك السكير الذي قلت لك انه قذف نافذتي بالحجر . .

ومن عجب أن السيد أميل كان شديد الاهتمام بهـــذا الحادث وبالحجر ذاته ..

ـ ولماذا هذا الاهتمام البالغ منه ؟..

ـ ان لبعض الناس هوايات غريبة يا مس فينابلز .. وهـذا الرجل كان شديد الضيق والانفعال ، وراح يلوح امامي بمدفع صغير .. وفي رأيي ان الذي اثار انفعاله هي تلك البقعة من الدماء التي كانت امام الباب ..

فأجفلت الفتاة وقالت : بقعـــة من الدماء ؟.. ولكن هل أصيب أحد ؟..

ـ هذا مما لا ريب فيه ، فان الدماء لا تنبت وحـــدها في الارض كالعشب ..

ـ ألم تحاول معرفة ما حدث ؟..

ـ لقد كان الضباب يا عزيزتي كثيفاً بحيث لا يرى الانسان يده اذا مد ذراعه أمامه.. كما ان المستر اميل كان يثير اهتمامي اذ كان يظن انني اخفي رجلاً في الكوخ .

ـ هل تعني انه كان يطارد شخصاً ما ؟..

ـ هذا ما لاح لي ..

فقالت الفتاة بعد لحظة : لقد فهمت ..

ـ يسرني ذلك ، لانني في الواقع لم افهم شيئا .. فهل لك ان تزيدي الأمر وضوحاً ؟..

فترددت الفتاة ثانية ، وظلت صامتة برهة طويلة ، قبل ان تجيب :

— هل تعلم من الذي ذهبت لأراه في نوروتش؟.. انه الرجل الذي سالت دماؤه في الطريق.. الرجل الذي كانوا يطاردونه..

— وهل رأيته ؟..

— كلا .. فقد اخبرتني مديرة منزله ان رجلين من الأجانب حضرا لزيارته في ساعة متأخرة من الليل فصحبهما الى الخارج ولم يعد .. ولا ريب انه فر منهما خلال الطريق في الضباب وعندئذ حضرا اليك للبحث عنه .. رباه ! .. ان ذلك سوف يحطم خالي جون تماما ..

فحدق لوبين النظر اليها وقال: ولماذا يصيب ذلك خالك جون؟

— لأنه أبنه .. فهذا الرجل هو هارولد ابن خالي ..

فصفر لوبين بشفتيه ، ثم قال في دهشة :

— ولماذا بحق السماء يطارد السيد اميل وعصابته هارولد هذا؟

— مستر أرلو .. انني سوف اوليك ثقتي فاشرح لك الامر بحذافيره .. ولا اعلم ان كنت مصيبة في ذلك ام مخطئة ، ولكني هذا الامر قد ضعضع اعصابي .. وما دامت الظروف قد زجت بك في هذه الحوادث في مصادفة عجيبة ، فلتكن على علم بحقيقة الأمر .. فقد ذهب هارولد منذ ثلاثة أعوام الى المانيا ..

— لحظة واحدة يا مس فينابلز ... اي نوع من الرجال هارولد هذا ؟..

— هو شاب رقيق المعشر ، ولكنه ضعيف الارادة ، فقد نشأ مدللًا إذ ماتت امه عند ولادته ، فأفسده خالي وأساء تنشئته ..

حسناً .. لقد ذهب الى المانيا منذ ثلاثة اعوام ، للنزهة ، اذ انه يجيد كثيراً من اللغات .. وهناك اتصل بطريقة أو أخرى بذلك الشيطان اميل وجمعية المفتاح الفضي .. وليس عجيباً ان يحدث ذلك... إذ ان للجمعية فروعاً في جميع الاقطار الاوروبية وفي انكلترة نفسها .. وكان ينظر الى الامر في مبدئه كمجرد ملهاة يتسلى بها، ولكنه عندما تبين خطر هذه الجمعية، كان قد فات أوان النكوص .. ولم اكن اعرف شيئا عن هذا الامر ، كما لم يعلم به خالي ، إذ لم نتبينه إلا مؤخراً ، عندما رأيته كثير الوجوم على غير عادته .. واخيراً استطعت أن انتزع السر منه ، فاذا بالجمعية تشدد الضغط عليه ليمدها ببعض المعلومات السرية الخطيرة .. وقد نسيت ان أخبرك ان هارولد يعمل في وزارة الخارجية ، ولذلك تتاح له الفرصة كثيراً لمعرفة بعض الاسرار الهامة والاطلاع على الوثائق السريه .. وكنت مع خالي منذ اسبوعين عندما حضر هارولد في حالة يرثى لها .. كان شديد الشمل على غير عادته .. واستطعنا بشق النفس ان نعلم منه ان هؤلاء الأوغاد بعد ان كانوا يهددونه بالخطابات من المانيا ،قد حضروا الى انكلترا وراحوا يهددونه شخصيا ، إذ كانوا يريدون صورة من وثيقة شديدة الخطورة ..

- ولماذا لم يذهب الى البوليس ؟..

- هذا ما قاله له خالي ، وعندئذ علمنا الحقيقة المروعة ..علمنا أن هارولد قد انزلق في هوة الخيانة ، وأمدّ هذه الجمعية ببعض المعلومات التي اؤتمن عليها .. ولديهم رسائل منه تثبت عليه

الجريمة ، يكفي ان يبرزوها حتى يقضوا عليه .. وكان الاوغاد يعرفون ذلك فاستخدموا هذا السلاح في سبيل إرغامه على الافضاء إليهم بمعلومات اخرى ذات اهمية حيوية يعد افشاؤها خيانة وطنية عظمى .. ومن ثم شعر هارولد بخطورة موقفه ، فاذا امتنع عن طاعتهم كان معنى ذلك الموت ، واذا انساق الى تنفيذ رغباتهم كان ذلك العار كله ، ولذلك سلك الطريق الوحيد المفتوح أمامه ، وهو الفرار من وجههم ، فحصل على اجازة طويلة وغادر منزل أبيه ومضى يختفي في نورروتش .. ولكنهم عثروا عليه هناك ..

– وكيف عرفت بما حدث ليلة أمس يامس فينابلز ؟

– لقد أخبرني خالي به عندما اتصلت به تليفونيا ، فان مديرة منزل هارولد تحدثت اليه في الصباح ، واخبرته بأن هارولد غادر المنزل مع اثنين من الاجانب ولم يعد .. وانت تعرف البقية ..

وكانت الفتاة تتنهد وهي تفرك منديلها في عصبية بين كفيها وما لبث لوبين ان غمغم :

– اني آسف لما أصابكما ايتها الآنسة ،وارجو ان تنكشف هذه الغمة قريبا ..

– لقد كان ينبغي أن اكتم الامر .. ولكنني توسمت فيك ما يجعل المرء يثق بك ويأنس اليك ..

– شكراً لهذا الشعور الرقيق .. ولكن الذي لا افهمه بعد هو ما الذي حدا بابن خالك هارولد الى قذف نافذتي بالحجر ؟.

– لقد فكرت في ذلك يا مستر أرلو .. فهلا ترى من المحتمل

ان تكون هناك رسالة ما.. لفّ بها قطعة الحجر على أمل أن تصل اليك ؟

- يا الهي !.. انها فكرة رائعة يامس فينابلز !.. الان فهمت لماذا كان مستر اميل بالغ الاهتمام بما في جيوبي .. ومع ذلك فلم تخطر لي هذه الفكرة ببال !..

. . .

واختلس اليها النظر ، فوجد جبينها شديد القطوب .. ومرة اخرى ازداد اعجابه ببراعة تمثيلها .. بيد انه لم يعرف مبلغ قصة هارولد هذه من الصدق .. ولولا انه رآها بعينيه وهي تدس له المخدر ، ولولا ان عامل السيارات اخبره بسبب العطب الذي أصاب سيارتها ، لكان من المحتمل ان يصدق كل حرف من هذه القصة ، ولو انه صدقها لما كان هناك ما يدعو الى اخفاء أمر الرسالة عنها ..

واشتدت رغبته في استجلاء هذا السر المغلق ، كما اشتدت لهفته الى لقاء الخال العزيز جون .. وهذه الفتاة انكليزية صميمة ، فهل خالها كذلك ؟.. بل هل هو خالها على الاطلاق ؟ وما هي حقيقة الصلة بينها وبين ذلك الرجل المسمى أميل ؟.. وكان يعلم انهم أصابوا الحدس في وجود رسالة حول قطعة الحجر ، ولكنهم راحوا يتخبطون في الظلمات بعد ذلك.. فهم لا يعلمون ان كان قد وجد الرسالة أم لا .. وهم في سبيل معرفة ذلك لا يترددون البتة في انتهاج كل الوسائل مهما بلغت من العنف..

واخيراً استطرد قائلا :

- ولكني لم أر أثراً لأية ورقة في الحجر . . ومن المحقق ان الحجر لم يكن ملفوفا بشيء . . غير انه من المحتمل ان تكون قد سقطت في الحديقة ، إلا اذا كانت الرياح قد حملتها بعيداً . . ولماذا بالله لم تفكري بهذا الامر قبل ذلك يا مس فينابلز ؟ . . فلعلنا كنا نجدها لو بحثنا عنها . . ولكن ماذا يمكن ان يكتبه ابن خالك في هذه الرسالة بما قد يفيده في شيء ؟

فأخذت الفتاة الى التفكير برهة ثم قالت :

- لعله عرف المكان الذي يقودونه اليه يا مستر أرلو فكتب اسمه ، وقذف به على اول نافذة مضيئة لقيها لمجرد الاستغاثة وطلب النجدة . .

فنظر اليها لوبين في اعجاب ، وهتف :

- لعمري ان العمل معك لذيذ يا مس فينابلز . . فهذه فكرة لم تخطر لي على بال قط . .

ولكننا اذا اردنا أن ننقذه فينبغي ان نعرف المكان الذي اقتادوه اليه في اسرع وقت مستطاع . . لان خالي لا يريد ابلاغ الأمر لرجال البوليس .

- ما رأيك في ان نرسل برقية الى مسز اسكديل لتبحث عن قصاصة من الورق في الحديقة وتبرق بمحتوياتها . . ان وجدتها الينا ؟ . .

فصاحت الفتاة : لا بأس في ذلـــك يا مستر أرلو . . انه رأي رائع . .

- سوف نقف عند اول مكتب للبريد ونبعث اليها بهـذه

البرقية .. ولكن أين ترين أن ترسل الاجـابة ؟ . . الأفضل ان نرسلها الى خالك ، فما هو عنوانه ..

ـ ان قصره يدعى (هارتلي كورث).. يكفي ان تذكر اسم المـكان لتصل اليه ..

ـ وما اسم خالك ؟..

ـ مستر مريديت ..

ـ حسناً . . سوف لا تتأخر مسز اسكديل عن الرد ، فهي رقيقة الشعور جداً ..

وغادر لوبين السيارة عند اول مكتب للبريـــد حيث راح يكتب برقية طويلة قدمهـــا للموظف واجزل له العطاء وأوصاه بكتمان ما جاء بها .. ثم عاد ليخبر مس فينابلز باتمام مهمته .. وما لبثا أن درجت بهما السيارة حثيثا في طريقها الى كمبردج ..

٣

الجريمة

لو كان لوبين ممن يضربون بالبخت ويعلمون الغيب .. لعرف انه كان يعقد أجتماع هذه اللحظة في قصر (هارتلى كورث) حيث يقيم الخال المحترم جون ..

ففي احدى حجرات الطابق الاعلى ، كان رجل أشيب الشعر في الخامسة والخمسين من عمره ، يجلس الى مائدة عريضة ، وامامه ذلك الالماني اميل .. الذي كان يقول في خشونة :

– لشد ما تثيرني هذه المفاجآت . . فهل افهم منك ان ذلك العامل الريفي قادم بسيارته الان مع دوريس ؟

فاجابه الرجل الاشيب :

– وهل تظن عاملا ريفياً يملـــك سيارة من طراز (رولس رويس) .. ؟ لقد استطاع بالتأكيـــد ان يضحك على ذقنك يا صديقي . . فهو سيد يدعى المستر ارلو .. أما لماذا انكر شخصيته وادعى بانه عامل فهذا ما لا افهمه ..

– وماذا كان يفعل في الكوخ اذن ؟

– لقد ذهب اليه للصيـــد والقنص .. لشد ما اخشى ان

يكون صاحبنا الاخر على صلة به ، وكان يعرف الى اين تأخذانه..

ـ لقد كان الضباب كثيفاً يا مريديت .. ثم انه كان بين الحياة والموت ..

ـ ولكن لا بد ان هناك رسالة مع الحجر.. فما كان ليحطم النافذة لمجرد التسلية ..

فقال اميل: ولكننا لم نجد شيئاً ، وكذلك لم تنجح (دوريس) في العثور على اثر لهذه الرسالة . . ولا تنس يا (مريديت) ان كل ما يهمنا من امر هذه الرسالة ألا يعثر عليها احد . . وإلا تعرضنا للخطر كما تعلم ..

ـ انني ما كنت ابالي بالامر لو كان الرجل عاملاً ريفيا حقاً. اما وهو غير ذلك فقد تغير وجه المسألة ..

فقال الالماني في هدوء :

لقد فتشنا الكوخ جيداً فلم نجد شيئا وعليك ان تكون الآن اكثر هدوءاً ورباطة جأش.. واذا كان (ارلو) هذا واحداً منهم.. فلمَ لم يذهب صاحبنا اليه مباشرة .. ولماذا لم يصرخ مستنجداً .؟

«كلا يا عزيزي انت تقلق نفسك لغير ما سبب معقول .. »

ـ ربما كنت على صواب .. فلننتظر عودة دوريس ..

ـ ما الذي سنصنعه بالفتاة عندما نفرغ من مهمتنا .. »

ـ ما سنفعله بالآخرين ..

ـ لقد لاحظت أخيراً انها غدت أشد فضولاً ، وتحاول بشتى الوسائل ان تعرف مالا يعرفه الا اعضاء المجلس الاعلى فقط .. وعلى الأخص فيما يتعلق بموضع المركز الرئيسي لنا ..

- انه فضول النساء لا اكثر ولا اقل ..

- ربما كنت على حق .. ومهما يكن من امر فها هي قد حضرت،ولا بد لي من الاختفاء وعدم الظهور امام هذا الرجل..

وراحا يرقبان السيارة من النافذة وهي تقف امام باب القصر، حيث هبطت منها الفتاة، وسرعان ما كانت تلج الحجرة حيث قابلها الرجلان في لهفة وتساؤل .. فقالت في هدوء : لقد تحققت انه لم يجد رسالة ما .. ولكن الذي لا افهمه هو كيف وقعت في هذا الخطأ المزري يا هرفايت ؟. لقد كدت ارتبك هذا الصباح عندما رأيته ، واضطررت الى تعديل خطتي بأكملها للفور ..

فقال مريديت : هل كان من الحكمة ان تأتي به الى هنا ؟..

- كان ذلك لازماً ، فقد حاولت اولاً ان ادس له المخدر ولكني فشلت .. ثم رحت ابحث في الحديقة دون ان اجد شيئا ولذلك كان ينبغي ان ادبر خطة جديدة لمعرفة ما لديه .. والآن اصغ الي يا مستر مريديب ، يجب ان تهبط لمقابلته .. فأنت خالي، والامر كله يتعلق بابنك هارولد الموظف بوزارة الخارجية ،والذي اختطفته جمعيـــة المفتـاح الفضي .. فأجفل اميل وصاح : يا للسماء !.. هل اخبرته بذلك ايضا ؟ .

- بلا شك .. ولكنك لا تستطيـع ان تفهم لغبائك ان هذا الرجل ليس مزارعا او عاملاً كما ظننت .. فهو رجل مثقف ولن يسكت على ما حدث في الليلة الماضية الا اذا فعلنا شيئا يسكته، وما ذلك الشيء إلا ان نثير عطفه وشفقته ،وهذا ما فعلته ،وهاك ما فعلت ..

ثم راحت تقص عليهما ما حـــدث منذ الصباح ، وما قالته لوبين .. فلما فرغت من قصتها قال مريديت :

– لعمري يا عزيزتي ما كان يمكن ان تفعلي خيراً من ذلك ..

واستطردت الفتاة : فاذا لم يصل الرد على برقيته ، فمعنى ذلك انه حتى لو كانت هناك رسالة ما فلا ريب انها قد فقدت الى الابد..

وتمهلت لحظة قبل ان تردف في نبرات جامدة :

– اما اذا كانت هناك رسالة ما ، فمن حق المستر ارلو ان نقدم له كأساً من الشراب . وستتوقف طبيعة هذا الشراب على ما في الرسالة ..

فابتسم اميل ، وربت مريديت على كتف الفتاة مشجعاً ، فاستطردت :

– والآن هيا بنا ايها الخال العزيز حتى لا يدهش الرجل من غيبتنا .. ولا تنس انك محطم الفؤاد لما اصاب ابنك الوحيد .. وبهذه المناسبة كم تظن يا هرفايت ان سيطول الامر ..؟

– ثلاثة ايام او اربعة .. ولن تزيد عن اسبوع بحـــال من الأحوال فقد انهارت قواه تقريبا كما علمت هذا الصباح ..

ووجدا لوبين يتظاهر بالنعاس فوق عجـــلة القيادة ، فراح مريديت يشكر له في نبرات حزينة ما فعله من اجـل دوريس الصغيرة ، ثم استطرد يسأله ان كان له ان يطمع في المزيـد من كرمه فيقبل الانتظار حتى يصل رد برقيته .. فأسرع لوبين يعرب عن قبوله ذلك عن طيب خاطر ..

ولم تمض دقائق حتى صاح لوبين :

ـ يالله ..! لقد جاءت البرقيـة باسرع مما قدرت .. فها هو الموزع يدنو بدراجته من القصر ..

فأسرعت دوريس لاستلام البرقية ، وفضها ، وعادت إليهما وعلى وجهها علامات الحيرة الشديدة ، فصاح مريديت :

ـ حسنا يا عزيزتي ..! ماذا بها ..؟

ـ انها من مسز اسكديل تماما .. ولكن يخيل الي أنها ليست بذات معنى .. فهي تقول انها وجدت ورقة في الحديقة كتب عليها س.ب.ز .. وبضعة حروف اخرى .. ويلي ذلك توقيعها ..

وكان لوبين يتفرس فيها .. فأدرك أن حيرة الفتاة ودهشتها غير مفتعلة . ولكنها ما لبثت ان صاحت في جذل :

ـ لقد فهمتها ايها الخال العزيز . فانها مكتوبة بالشفرة التي كان هارولد يستعملها معي عندما كنا اطفالا .. وهي لدي في حجرتي .

وانفلتت تعدو الى حجرتها .. فأشعل لوبين لفافة راح يدخنها في تلذذ ومرح .. وما لبثت الفتاة ان عادت هاتفة :

ـ لقد وجدتها .. فهذه الحروف تدل على اسم موضع معين . لله ما ابرع هارولد !

فقال لوبين في اهتمام : وما اسم هذا الموضع يامس فينابلز .؟

ـ كسنجلوند .. واظنني سمعت عن بلدة بهذا الاسم ..

ـ اجل وهى تبعد بضعة اميال عن لوستوفت على الساحل . فهل تعتقدين ان معنى هذه الحروف ان ابن خالك قد اقتيـد الى هذه البلدة ؟

– وماذا يمكن ان تعني غير ذلك يا مستر ارلو ..؟ لا ريب ان هناك بعض الاكشاك البحرية المهجورة وقد سجن في احدها.

فغمغم مريديت وهو يمر بيده على جبينه : يا بني المسكين .. ماذا افعل الان ..؟

فتظاهر لوبين بالتفكير لحظة، ثم قال :

– الا يمكن ان افيدك في شيء يا مستر مريديت ..؟ انني لا اعرف ابنك، ولكن في وسعي ان اذهب الى كسنجلاند للتحري عن مصيره .. ولا تنس ان ظهور اي اجنبي في تلك البلدة يكون ملحوظاً من سكانها ..

فصاحت الفتاة : ولكن يا مستر ارلو .. ليس يصح ان نكبدك هذا العنـــاء .. ثم انك مدعو الى العشاء في لندن هذه الليلة و ..

فقاطعها لوبين في احتجاج :

– لا تقولي ذلك ايتها الانسة .. وفي وسع هذا العشاء ان ينتظر يومين او ثلاثـة، فان المرء ينبغي ان يضحي بكل شيء في مثل هذه القضيـة فى سبيل مساعدة الملهوفين .. وسوف ارحل في الحال الى كسنجلاند وسأبرق لكم بنتيجة ما يصل اليه بحثي..

فقال مريديت في صوت كسير :

– انني لا ادري كيف اشكر لك هذا الصنيع يا سيدي .. ولو كانت صحتي ..

– لا تفكر في شيء البتة يا مستر مريديت .. فان مكانك هنا، مع ابنة اختك ..

وصحبته الفتاة الى السيارة وصافحته ، فضغط على يدها وهو يهمس :

– هل لي ان احضر الك بنفسي الانباء السارة يا عزيزتي ؟ ..

– بلا ريب .. وانه لجميل ان تجشم نفسك هـــذا العناء في سبيل شخصين غريبين ..

– غريبين ؟.. كيف تقولين ذلك يا .. يا دوريس ؟.

فلما اختفت السيارة في الطريق الرئيسية تحول مريديت الى الفتاة هاتفا :

– ما هذه اللعبة بحق الشيطان ؟..واي شفرة تتحدثين عنها ؟

فأجابت الفتاة في سكينة ، وكان الالماني قد انضم اليهما :

– الا تعرف ما جاء في هذه البرقية ؟.. انها وجدت ورقة في الحديقة كتب عليها « س ب ز ال ف ت ر ب ت ي . اسكديل » ولا ريب انها مكتوبة بالشفرة حقا ..

– ولكن ماذا ؟.. لماذا كسنجلاند بالذات

– آه .. انك سريع النسيان يا مستر مريديت .. الم اقـل لأرلو انه اذا كانت هناك رسالة فلا ريب انهـا تحمل اسم المكان الذي يأخذون هارولد اليه ؟..وعلى ذلك فان اي مدينة يتركب اسمها من احد عشر حرفا تفي بالغرض .. وقد كنت واثقة انه سيتطوع بالبحث فاخترت كسنجلاند لأنها لا بالقريبة ولا بالبعيدة وعلى الاقل تبعد عنا يومين أو ثلاثة ؟

فغمغم الألماني وهو يمعن النظر في البرقية :

– يا لله يا مريديت !.. ان الفتـــاة شديدة البراعة حقا ..

ولكن ترى ما الذي تدل عليه هذه الحروف تماما !..

فقالت الفتاة : انني لا اشك البتة في انها تحمل عنوان مركزكم الرئيسي ..

ــ اذا كان الامر كذلك حقاً يا عزيزتي فقد احسنت بابعاد هذا الغر الى كسنجلاند . . وفي سكينة تامة راح يمزق البرقية اربا ، ثم دس القصاصات في جيبه ...

. . .

كان لوبين جالسا في بهو فندق العنكبوت ظهر ذلك اليوم عندما وافاه صديقه روجر ، فصاح به :

ــ ما معنى هذه الدعوة العاجلة بالله عليك ؟.. ولماذا تركت صيد البط وعدت الى لندن؟.. لقد حرمتني من الغداء مع صديقي ماريوت ...

ــ لا بأس يا روجر !.. فقد كنت هذا الصباح مع ملاك هبط من السماء بين ذراعي ، ملاك شديد البراعة وحدة الذكاء ..

ــ أدعوتني لتقول لي ذلك فقط ؟.. من هذا الرجل ؟..

ــ إنها سيدة يا روجر .. بارعة الحسن شديدة الفتنة ، ولها خال كهل .. وكانت في لهفة شديدة على ان تصلها برقية معينة .. ولكني أراك لا تفهم شيئا ، فلنبدأ من البداية ..

وراح يقص عليه ما حدث منذ منتصف الليلة الماضية . . فلما فرغ قال روجر :

ــ ولكن ما هذه الرسالة الثانية ؟.. لقد فهمت أنك أحرقت الاولى التي وجدتها في النافذة ، فما هــــذه الاخرى التي وجدتها

مسز اسكديل ؟..

ـ إن مسز اسكديل لم تجد شيئاً البتة يا روجر !.. وعندما اخبرتك انني أبرقت الى مسز اسكديل ، لم أضف الى ذلك انني أوحيت الى هذه السيدة الطيبة بنص الرسالة التي تبعث بها .. وقد كنت حائراً في اختيار هذه الرسالة . وفجأة وقع نظري في مكتب البريد على صحيفة خاصة بسباق الخيل فأوحت الي بالفكرة ، ومن ثم كانت برقيتي الى مسز اسكديل (ابرقي الى مريديت هارتلي كورث كمبردج بما يلي : وجدت ورقة في الحديقة كتب عليها س ب ز ا ل ف ت ر ب ت ي . اسكديل) وهذه الحروف ليست سوى الرموز الخاصة بالخيل ..

ـ وكيف بحق السماء صنعت الفتاة منها اسم بلدة كسجلاند؟

ـ لأن مسز دوريس فينابلز كما قلت لك فتاة وافرة الدهاء والفطنة يا بني ، وكانت تريد ان تتخلص مـــني ، وتعدني حجر عثرة في سبيلها منـذ ان شاءت الصدف ان تضعني في طريقها .

« ولا ريب انها تعتقد .. انني قـــد صدقت تلك الاقصوصة التي ذكرتها لي عن هارولد .. وقد كنت متشككاً في امرها حتى جاءت هذه الاكذوبة الضخمة عن الشفرة التي كانت تستعملها مع هارولد ، والتي خرجت منها ببلدة كسنجلاند ، اذ ان هذه الكلمة مركبة من احد عشر حرفا مثل حروف الرسالة المزعومة .

ـ وما هي خطتك الان ؟..

ـ سوف نذهب بعد الغداء الى كسنجلاند ، حيث لا نعدم ان نجد شخصاً يمكننا ان نعهد اليه ببضع برقيات ليرسلها تباعاً في

مواعيد نحددها له ، اذكر فيها انني لا أزال ابحث ، ثم انـــني اهتديت الى أثر . . وهكذا . . ومتى فعلنا ذلك عدنا الى لندن في المساء . . ولعلنا اذا قمنا بتفتيش (هارتلي كورث) تفتيشا دقيقاً أثناء الليل ان نصل الى شيء ذي بال .. فاني اعتقد يا روجر أن الامر اكثر من ان يكون جريمة عادية لا أهمية لها ..

- هل تعني انها جريمة سياسية ؟ . تختص بالجاسوسية فعلا ؟..

- هذا ما اعتقده .. وفي رأيي ان جمعية المفتاح الفضي ذات صلة حقاً بهذا السر ..

- انني اعرف احد رجال المخابرات ، رونالد ستاندش .. فما قولك في ان ندعوه الى تناول العشاء معنا الليلة ؟..

انها فكرة موفقة ، فاذهب واتصل به الان ..

. . .

اصاب الصديقان من التوفيق في (كسنجلاند) اكثر مما كانا يحلمان به ، اذ التقيا منذ وصولهما برجل يعرفه كلاهما ، من اهالي لندن ، وكان يقضي في البلدة بضعة ايام لقضاء مهمة تجارية فيها .. وسرعان ما رضي بأن يرسل البرقيات التي كتبها له لوبين ، ووضع على كل منها الساعة التي ينبغي ان ترسل فيها ..

وفي اثناء عودتهما اقترح لوبين أن يعرجا على كوخ مرضعته ليخبرها انه سوف يتغيب اياما قليلة حتى لا تقلق اذا لم يعد ..

فلما اوقف السيارة أمام الكوخ هبط منهـا قائلاً لصديقه انه سوف يعود في الحـال .. ثم فتح السياج ومضى يجتاز الحديقة وهو يهتف منادياً العجوز ، دون ان يسمع جواباً منها ودون ان

يخف كلبه جيري لاستقباله ..

فلما بلغ باب الكوخ ، وقف جامداً لحظة، ثم استدار قائلاً :

— تعال يا روجر ..

فاسرع روجر ووقف بجواره، فأدرك السبب الذي جعل الكلب لا يخف لاستقبال سيده.. اذ كان جيري المسكين ملقى على الارض وقد اخترقت رأسه رصاصة قاتلة ..

وراح يذرع الحجرة بنظراته ، واذا به يصيح دهشة ثم يمضي الى المائدة ويلتقط قفازاً موضوعا فوقها . . وهو يقول :

— أترى هذا القفاز يا روجر ؟.. انه الذي كانت دوريس فينابلز ترتديه هذا الصباح . . ترى ما الذي حدث هنا بحق الشيطان ؟..

— لعلها عادت لتتحقق من صدق البرقية والرسالة ..

— ولكن لماذا تقتل جيري ؟ . . ثم اين مربيتي العجوز .

وعندئذ بلغ سمعهما صوت غليظ عال ينبعث من الطابق الأعلى ، فاسرعا يرتقيان الدرج حيث وجدا به لدهشتهما ، مسز اسكديل مستلقية في فراشها ، بثيابها كاملة ، وقد راحت في سبات عميق . وكان من الجلي ان العجوز قد اعطيت مخدراً قوياً .. فقال لوبين :

يا للأنذال . ! سوف يكون لي معهم شأن ، أي شأن .. ولكن كيف حملت الى ذلك الطابق ..؟ ان الفتاة وحدها لا تستطيع ان تحمل امرأة غائبة عن الصواب فوق هذا الدرج .. ومن الذي قتل الكلب . ؟ ولماذا ..؟ لقد كانت مسز فينابلز

تلاعبه هذا الصباح في الحديقة ولا يمكن ان تكون هي التي قتلته ..

- هل تظن أنها لم تكن وحدها ..؟

- لا ريب انهم جاءوا جميعا ليروا الرسالة بأعينهم ، فحدث ما نراه ..

وكان لوبين واقفا بجوار النافذة ، فضاقت عيناه فجأة ، وراح يحدق النظر الى نقطة معينة ، ثم قال :

- أترى هذه الخميلة التي على الجانب الآخر من الطريق ..؟ ان شيئا يتحرك بداخلها يا بيتر ، وأراهنك على انه رجـــل مختبيء هناك .. بل انه رجل حقاً ، فقد رأيت وجهه الان ..

وطلب لوبين الى صديقه ان يظل بالحجرة ويتظاهر بالتحدث الى شخص آخر ، حتى لا يفطن الجاسوس الى انفراده بهـا ، ريثما يتسلل لوبين من الباب الخلفي للكوخ ، فيباغته ويقبض عليه ..

ونجحت الخدعة ، فلم تمض بضع دقـائق حتى كان لوبين يعود الى الكوخ وهو يجر الرجل من عنقه ، فقابلهما روجر عند الباب ، وعجب إذ رأى الرجل غير ما كان يتوقع ان يراه ، اذ كانت اناقة ثيابه تنم على انه ليس من اللصوص أو قطـــاع الطرق . . بل الأعجب من ذلك انه كان يصخب وينذر لوبين بابلاغ البوليس عن هذا الاعتداء الشنيع ..

فأجابه لوبين : دعك من هذا الهراء وادخل معنا ، فاننا نمثل القانون هنا الان .. واعلم انه اذا سولت لك نفسك الفرار فسوف أطلق النار عليك ..

وكان غطيط مسز اسكديل مسموعـــا في الكوخ ، فرأى

لوبين في أسارير الرجل لمحة خاطفـة من الارتياح اكتسى وجهه بعدها ذلك القناع الجامد كما كان . .

فأشار لوبين الى جثة الكلاب وقال : هل انت الذي قتلته . . ؟

ــ كلا . . فانها المرة الاولى التي ألج فيها باب هذا الكوخ . .

ــ ولماذا كنت مختبئاً تراقبه . . ؟

ــ لأنني اعتزم شراءه . . ولا زلت اطلب ايضاحاً عن هـذا الاعتداء . .

ــ سوف نقدم لك هذا الايضاح للتو . . وسنرى اذا كنت ستظل مصراً على هذا السخف الى النهاية . .

وفي مثل وميض البرق كانت يد لوبين قد ارتفعت ثم هوت على يد الرجل التي اخرجها من جيبه بغتـــــة ، فسقط منها خنجر مرهف النصل . . وسرعان ما أمسك بالرجل بين يديه الفولاذيتين ، وطلب الى صديقه ان يحضر حبلاً ، ثم تعاونا على شد وثاقه جيداً على أحد المقاعد . . وأخرج لوبين منديله فكمم به الرجل الذي كان ينظر اليه مشدوها وقد لاح القلق والجذع في عينيه . .

فأخرج لوبين بعد ذلك من جيبه اسطوانة قصيرة من المطاط وهو يقول :

ــ سوف تطلق هذه العصا السحرية لسانك يا صـديقي ، متى ذقت طعمها على فخذيك وما عليك الا ان تشير لي بالكف عندما تنوي ان تتكلم . .

وكانت عينا الرجل تدوران في محجريهما في ألم وذهول كلما هوت قطعة المطاط على جسمه ، واخـيراً أشار برأسه في قوة ،

فتوقف لوبين وأشار الى روجر أن ينزع الكمامـة عن فمه قائلًا :
– هل عولت على الكلام أخيراً ؟.. حسنا .. ولكني انذرك بأنك اذا كذبت علينا فسوف اذيقك ما لا تنساه في حياتك قط ..
فغمغم الرجل في فزع : ما الذي تريد ان تعرفه ؟..
– ما الذي حدث بعد ظهر اليوم ؟.. ومـــاذا كانت مس فينابلز تفعل هنا ؟ ومن الذي خدر العجوز ؟ .. ومن الذي قتل الكلب ؟..
– انني لا أعرف ماذا حدث هنا .. وقد كانت هنا احـدى الفتيات، ويحتمل ان يكون اسمها فينابلز ، اما سبب حضورها فلا اعرف عنه شيئا .. ولكن اثنين منا تلقيا أمراً بأن ..
– من الذي أصدر اليكما هذا الأمر ؟..
فتردد الرجل لحظة ثم قال :
– هل تدعني اذهب إذا أخبرتك بكل ما اعرفه ؟.
– سوف ننظر في ذلك فيما بعد .. مـــن الذي أصدر لكما هذه الاوامر ؟.
– اننا لا نعرف اسمه ، كما انني شخصيـاً لم اره قط . وقد اعتاد ان يصدر لنا اوامره تلفونياً . وفي هذه المرة أمرنا بأن نذهب الى فندق في كمبردج وننتظر تعليمات جديدة منه.. وهناك انضم الينا رجل لم أره مـــن قبل وأحضرنا بالسيارة الى هنا .. وكانت سيارة الفتاة تقف امام البـــاب ، فمضى رجل الى الكوخ حيث كانت الفتاة جالسة تتحدث مع العجوز ، فما كادت تراه حتى شحب وجهها وتعلقت بذراع العجوز كانها تستنجد بهـا .. وفي

تلك اللحظة زمجر الكلب ، فاطلق عليه الرجل رصاصة صرعته ..
وحاولت الفتاة الهرب ولكننا قبضنا عليها بجوار السياج وأعدناها الى هنا ، حيث حقنها الرجل في ذراعها بمادة مخدرة كما فعل بالعجوز ، وعندئذ امرنا بأن نحمل العجوز الى فراشها والفتاة الى سيارته . وبعد ذلك مضى لشأنه بعد أن أمر زميلي بأن يقود السيارة الفتاة الى كمبردج ، كما امرني بأن أكمن في الطريق لاراقب الكوخ .. هذا كل ما اعرفه ..

فأشمل لوبين لفافة ، ونظر الى روجر قائلًا :

– ما رأيك في اكاذيب هذا الوغد يا روجر ؟..

– ربما كان صادقاً ؟.. ولكن هل من عادتك يا صديقي أن تطيع أوامر زعيم لم تره قط ، إذا كان فيها ارتكاب جرائم من هذا القبيل ؟..

– انني شخصياً لم ارتكب شيئا ..

– هل هناك كثير من زملائك في هذه العصابة ؟

– نعم ..

فقال لوبين فجأة : أهي جمعية المفتاح الفضي ؟..

فحدق الرجل اليه النظر في دهشة وقال : انني لا أعرف ماذا تعني ..

– انه بارع في التظـــاهر بالدهشة ياروجر .. إلا اذا كانت قصة المفتاح الفضي من ابتكار مس فينابلز الحسناء ..

ثم تحول للرجل واستأنف استجوابه :

– هل يمكنك أن تصف لي الرجل الذي حضرتما معه الى هنا؟

ـ انه متوسط القامة ، أسود العينين ، ذو وجه مكتنز ..

ـ انها صفات تتفق مع زائري ليلة أمس .. والان ماذا تري أن نصنع بهذا الوغد يا روجر ؟ ..

فصاح الاسير في قلق : بالله عليكما ايها السيدان لا تسلماني الى البوليس .. لا خوفا من السجن ، ولكن لو اذيع أنني بحت لكما بما قلت لغدت حياتي لا تساوي قلامة ظفر ..

ـ حسنا .. سوف ننظر فيما نفعله بك بعد ان نتحقق من أن مسز اسكديل على ما يرام . تعال معي الى اعلاها يا روجر ..

فلما انفردا في غرفة العجوز ، استطرد لوبين قائلًا :

ـ انني أميل الى تصديق الرجل يا روجر ، فليس في وسعه أن يخترع هذه القصة عفو الخاطر .. ولكني لا افهم سبب قدوم الفتاه الى هنا ، اذ لم يكن ثمة ما يدعوها الى التحقق من امر الرسالة ..

ـ سوف نعرف ذلك عندما تفيق مسز اسكديل من اثر المخدر .. ولا ريب أن سباتها سوف يطول ، وما عليك الا ان تكتب لها ورقة بأننا سنعود في الصباح ، وعليها ألا تتحدث لاي شخص حتى نقابلها ..

ـ ان قلبها على ما يرام ، ولا اظنها في خطر ما ..

وأخرج لوبين مفكرة من جيبه راح يخط فيها بعض الكلمات ، بينما ذهب روجر الى النافذة وما لبث ان صاح :

ـ آه !.. يبدو أن هذا العملاق في عجلة .. أنظر يا لوبين ..

فانضم اليه لوبين ، واذا به يرى رجلًا فارع الطول الى حد

غريب مرتديا حلة سوداء، يحث السير في الطريق من ناحية الكوخ الى اليسار .. وما لبثا ان سمعا دوي محرك سيارة . فقال لوبين :

ـ لقد كثرت السيارات هنـــا حتى لينبغي أن يضعوا بعض رجال المرور لتنظيم حركتها .. حسنا يا روجر .. سوف نحمل اسيرنا معنا ونلقي به في الطريق ، ففي رأيي أنه لا يعرف اكثر مما قاله .. وعليك الان أن ترغمه على حفر قبر في الحديقة لكلبي ريثما أدثر مربيتي العجوز ببعض الاغطية ..

وبينما كان يقوم بهذه الاعمال سمع روجر يصيح في صوت عال :

ـ لوبين .. لوبين .. تعال سريعاً ..

واندفع لوبين نحـــو الدرج .. ثم الى البهو .. بمثل ومضة البرق الخاطف ...

وعندئذ رأي الاسير منكفئاً في مقعده ، بحيث لم يكن يمنعه عن السقوط إلا الحبل الموثق به .. بينما غاص في قلبه خنجر طويل حتى المقبض ...

٤

اسرار الجمعية

وقف لوبين حائراً فاغر الفم من الدهشة ، فلم يكن مصرع هذا الرجل في حسابه ، كما انه لم يسمع حركة في الطابق السفلي ، لما كان مع العجوز بالحجرة الاخرى .. واخيراً تمالك نفسه وقال لصديقــــه :

لا بد ان القاتل هو ذلك العملاق الذي رأيناه مسرعا في الطريق لدقائق خلت ، ولا بد انه فاجأه وطعنه قبـل ان يفطن القتيل للخطر ، ولو فطن لاستغاث ورفع صوته عالياً ..

واسرع الى المطبخ ، فوجد بابه الخلفي مفتوحاً ، واثار اقدام موحلة على عتبته فقال لروجر :

– لا بد انه كان يقف في هذا المكان ، واستمع الى حديثنا مع القتيل ، وما افضى به القتيل الينا من الاخبار ، ولا بد ان اخباره صحيحة ولولا ذلك ما قتلته العصابة ، ولكن لماذا يقتلونه بعد ان افضى الينا بكل ما يعرفه .. إلا اذا كانوا ارادوا معاقبته على خيانته ..

ولاذ (روجر) بالصمت فلم يقل شيئاً ، فقد اذهلته الجريمة

وروعتـــه .

وتابع لوبين تعليقه قائلًا :

– ولكن الانتقام يفقد روعته اذا قتل الخائن فجأة وغيلة دون ان يعرف سبب موته . كما كان يحسن بالعصابة الانتظار الى فرصة اخرى فلا يعرضوا انفسهم لخطر هــــذه المجازفة ونحن لا نزال في الكوخ ...

وصمت لوبين برهة ثم قال :

– إلا اذا كانوا يريدون ارغامنا على ابـــلاغ الامر لرجال البوليس ..

– ولماذا يريدون ذلك .. وما فائدتهم منه ؟

– ليرغمونا على الافضاء للمسئولين بكل ما نعرفه ، ولا بد انهم عرفوا حقيقة البرقية التي وصلتني من المسز أسكديل ، فايقنوا انني كنت أغرر بهم .. ومـــا دام الأمر كذلك فلا ريب انني اعرف حقيقة الرسالة واردت تضليلهم .. وقد خيل إليهم انني ما دمت سأبلغ رجال البوليس نبأ هذه الجريمة ، فسأضطر لذكر ما حدث بالأمس والأدلاء بالنص الحقيقي للرسالة السرية .. وعندئذ يعرفون ما يسعون لمعرفته عن طريق الصحف .

– اتظنهم يقتلون رجلًا في سبيل ذلك .. ؟

– إذا كان للرسالة اهمية بالغة في نظرهم فلا ريب انهم يقدمون على ذلـــك .. ولكني سأفسد عليهم غرضهم ، وأقول لرجال الشرطة إنني حضرت إلى هنا فوجدت الكاب مقتـــولاً ، ومسز اسكديل فاقدة الرشد ، وذلك الرجل موثقاً فوق المقعد والخنجر

في صدره ..

ــ وماذا نفعل بمسز اسكديل ..؟

ــ سنأخذها في السيارة الى مسكني بلندن ، ريثما اذهب الى مركز الشرطة القريب من هنا .. ثم الحق بك في لندن في موعد العشاء ..

وأخذ الكونستابل الذي يرأس نقطة البوليس يهز رأسه متعجباً بعد ان فرغ لوبين من حديثه ، وما لبث ان غمغم :

ــ إنها اعجب قصة سمعت بها .. هيا بنا يا سيدي ..

وصحبهما ثلاثة من الشرطة في السيارة العتيقة ،فلم تمض عشرون دقيقة حتى كانت تقف بهم امام الكوخ .. فسار لوبين في المقدمة وما كاد يبلغ باب الردهة حتى وقف بغتة في مكانه مصعوقا ..!

كان كل شيء بالكوخ على عهده به ، إلا جثة الرجل المطعون بالخنجر ! فقد اختفت كأنما بسحر ساحر .. وكذلك اختفى قفاز مس فينابلز .

وران الصمت برهة حتى قطعه الكونستابل قائلًا :

ــ لست ارى اثراً لجثة ما يا سيدي .. هل انت واثق انك تركتها هنا ؟ .

ــ بلا ريب .. وقد رآها صديقي ايضا ..

ــ انني اصدقك يا سيـدي .. ولكن ربما غرر ذلك القتيل المزعوم بك .. ولا ريب انه من اللصوص ، وهو الذي قتـــل الكلب وخدر العجوز ، فلما شعر بقدومكما أوثق نفسه حينما اتفق على احد المقاعد ، ثم دس الخنجر في ثيابه بحيث يبـدو غائصا في

قلبه ... فلما انصرفتما ركن الى الفرار

وأعجب لوبين بحصافة الكونستابل وراقت له هذه الفكرة ، لولا انه يعرف انها ليست من الحقيقة في شيء .. فهو يعلم ان الرجل لم يوثق نفسه على المقعد وانه لم يكن يحمل خنجراً آخر ..

وفي تلك اللحظة وقفت دراجة بخارية امام الكوخ ، وبدا في بابه شاب حديث السن يبدو عليه الخجل والحيـــاء ، فصاح به الكونستابل مداعباً :

- هاك حادث لصحيفتك ايها الفتى الصحفي . . ويمكنك ان تضع له هذا العنوان : « من الذي قتل كلب الصيد ، ولماذا ؟.. » .

واستطرد ممثل القانون بعد ذلك قائلاً للوبين :

- سوف لا أدع هذا الامر يمر يا سيدي ، ولا بد ان أنتقم للكلب المسكين هل تريد ان تعود معنا بالسيارة ؟..

وكان لوبين يعمل فكره وقتئذ على ضوء ظهور الصحفي الشاب ، واستقر عزمه على انتهاز هذه الفرصة ، فقال للكونستابل :

- شكراً يا سيدي .. سوف أبقى هنا ريثما ادفن الكلب ، ثم أعود مع مستر سيمور على دراجته .

. . .

ما كاد رجال الشرطـــة ينصرفون حتى أفضى لوبين للصحفي الناشيء بجانب من حقيقة ما حدث ، وكيف استغفل العصـــابة وبعث اليها برسالة تختلف عن الرسالة الحقيقية ، وكيف انه يريد ان يمعن في استغفالها من جديد . . وما لبثا ان اعدا معاً مسودة المقال الذي سينشر بعنوان « احداث عجيبة في كوخ ريفي . .

رسالة من الظلام .. »

وقد جاء فيه ان المراسل علم من المستر أرلو المقيم في لندن ، والذي يمضي بعض الوقت في صيد البط بكوخ مربيته العجوز انه حدث في الليلة الماضية بينما كان بمفرده في الكوخ، ان قذفت نافذته بحجر كبير حطم الزجاج، وكان ملفوفا بقطعة من الورق سطرت عليها رسالة غريبة .. وكان الضباب من الكثافة بحيث لم يستطع مستر أرلو البحث عن الرجل الذي ألقى بهذه الرسالة .. فظنها مجرد مزحة من شخص ثمل ، إلا انه عندما عاد للكوخ عصر اليوم وجد كلبه المدلل مقتولا برصاصة في رأسه ، فاتصل برجال الشرطة الذين بدأوا تحرياتهم في الموضوع .. ولست في حل الان من نشر محتويات هذه الرسالة الغريبة ..

وأردف لوبين يقول للصحفي :

ـ سوف يحاول بعض الناس ان يتصلوا بك على اثر نشر هذا المقال ليعرفوا محتويات الرسالة السرية ، وما عليك إلا ان تمعن في ايقاظ فضولهم بمحاولتك لكتمان الأمر .. واخيراً تقول لهم فحوى الرسالة كما سأخبرك به ، ولكن دعهم يعتقدون انك علمته من البوليس وليس مني . اما الرسالة المزيفة الجديدة فلتكن (روزماري ب ج س د و ر)

ـ ولكن ما هي الرسالة الأصلية ؟..

ـ سوف تعرفها فيما بعد ... فلا تتعجل الامور .

وبعدان قاما معا بدفن الكلب في الحديقة، ركب الفتى دراجته البخارية ، وجلس لوبين خلفه .. ولكن ما لبث ان جال بنظراته

حواليه لحظة ثم قال للصحفي :

- عليك ان تخرج من البوابة في سرعة عظيمة ، ثم تتجه الى اليسار . واذا كنت لا تريد ان تقتل برصاصة في يومك هـذا فينبغي ان تنحرف يميناً ويساراً حتى تصل الى منعطف الطريق .

وفعل الفتى ما أشار به لوبين ، فما كادت الدراجـة تخرج الى الطريق، حتى انهال عليهما وابل من الرصاص طاش جميعه دون ان يصيب الهدف ..

وكان لوبين قد رأى رجلين يختبئان خلف احـدى الاشجار بالقرب من الكوخ ، احدهما ذلك الرجل الفارع الطول الذي رآه من قبل مع روجر وهو يسرع بالخروج من الكوخ... بعد قتل اسيرهما المنكود ..

. . .

وفي الساعة الثامنة كان لوبين يتناول العشاء مع صديقه (روجر)، في فندق العنكبوت بكمبردج، وقد انضم اليهما رونالدستاندش..

وكان (روجر) قد حدثه قبل قدوم لوبين بالقصة كلها ، فأضاف اليها لوبين ما حدث بعـد الظهر ، وأردف يسأله ان كان يعرف شيئاً عن هذه العصابة ، فأجاب :

- انني اعرف ما يكفي لكي تتوقعا الموت في كل لحظة ...

فقهقه لوبين في جذل وقال :

- لماذا ؟ . هل عرفت ذلك القاتل المحترف الفارع الطول ؟

- كلا .. ولكني اعرف الكثير عن جمعية المفتاح الفضي .. فاصغيا الي ...

« لقد بدأت هذه الجمعية تظهر في اوروبا عقب الحرب اي في سنة ١٩٢١ واعتاد الاعضاء ان يضعوا في باقة «عاطفهم مفتاحاً فضياً صغيراً كشارة للعضوية، وهو رمز اتخذوه ليشير الى انهم سيفتحون الباب المؤدي الى عالم افضل يسوده السلام والطمأنينة، وما لبثت هذه الجمعية ان اتسع نطاقها وامتدت فروعها الى فرنسا وبلجيكا، واخيراً انكلترا ذاتها .. وكان هدفها القضاء على معدات الحرب ومهداتها، بيد انهم لم يكونوا يلجأون إلا الى الاجتماعات والخطب الحماسية فحسب ..

« ولكن حدث منذ اربعة أعوام .. ان تطورت وسائل الجمعية وبدأت تسلك مسلكاً غريباً .. فقد حدث ان كنت وقتئذ اقوم بعمل هام في وزارة الحرب، فاذا برجل يطلب مقابلة اي شخص ليدلي اليه بمعلومات هامة .. فلما قابلته ورأيت ذلك المفتاح الفضي ادركت انه من افراد الجمعية . وما كان اشد دهشتي عندما قدم لي اوراقاً بها تفاصيل صنع مادة شديدة الانفجار اخترعها الفرنسيون .. وكنت اعلم ان العلماء في فرنسا يقومون بتجارب في هذا المضمار، فأيقنت ان المعلومات التي جلبها لي الرجل صحيحة كل الصحة .. ولكن عجبي تضاعف عندما رفض الرجل ان يبوح لي بعنوانه، او يتقاضى اجراً على عمله هذا، وما لبث ان انصرف وتركني مشدوها ..

« ولكن لم تمض اسابيع على ذلك حتى فوجئنا بأمر غريب، هو ان صورة كاملة من هذه المعلومات قد وصلت بمثل هذه الطريقة الغامضة الى كل من المانيا وايطاليا وامريكا واليابان، بلا

مقابل .. وأدركنا ان الجمعية قد بدأت تستخدم وسائل عملية في سبيل تحقيق مثلها الاعلى ، وذلك بأن تسعى للحصول على المخترعات العسكرية الخطيرة لدولة ما ، وتنشرها بين سائر الدول العظمى وبذلك لا يكون لاحداها قصب السبق في امتلاك ناصية الامر اذا سولت لها نفسها ان تشهر الحرب .

« ولم تلجأ الجمعية الى الوسائل الاجرامية الا بعد سنتين من ذلك .. ولعلكما تذكران ما نشرته الصحف عن الرجل الذي وجد قتيلا بطعنة خنجر في الباخرة الهولندية . فان الغريب في هذه الجريمة أن الرجل لم يوجد معه ما يدل على شخصيته ، اذ سرقت الأوراق التي كانت في جيوبه كما سرق جواز سفره .. وكان يبدو انكليزياً ولكن لم تثبت شخصيته بصفة قاطعة .. فلما وصلت السفينة الى ميناء هاروتش لم يستطع البوليس أن يكشف القاتل بين ركابها فاكتفى بتسجيل أسماء الركاب جميعا ، وعناوينهم ولدي سؤال خادم القسم الذي كان القتيل نازلاً به .. قرر ان المسافر كان يحمل حافظة الاوراق صغيرة من الجلد اللين يمسكها دائما بيده ، كما قرر حقيقة اخرى جعلتنا نزداد اهتماما بالأمر ، وهي انه كان يعاون القتيل ذات يوم في ارتداء معطفه فرأى في الياقة مفتاحاً فضيا صغيراً .. ومع ذلك فان هذا المفتاح لم يوجد في مكانه عند فحص الجثه وما عليها من ثياب ، مما يدل على ان القاتل قد نزعه واخفاه ..

« وكنا نفكر فيما اذا كان الباعث على القتل ذا صلة بعضوية القتيل في جمعية المفتاح الفضي – اذ استبعدت السرقة لوجود نقود

القتيل كاملة ـ وفيما اذا كانت الجمعية قد بدأت تلجأ الى العنف في اعمالها ، عندمـــا وصل الى اسكتدلانديارد خطاب غفل من الامضاء يقول فيه مرسله : (اذا اردتم معرفة الحقيقة في مقتل المسافر على الباخرة الهولندية فابحثوا عن السبب الذي من اجله قتل ماريو مارتيني بطعنة خنجر في جنوا قبل جريمة الباخرة بيومين وما الذي كانت تحويه حافظة اوراق القتيل ؟ .. ان جمعية المفتاح الفضي لا تزال حريصة على مثلها العليا ، ولكن هناك خيانة بين بعض زعمائها) ...

« وكان ختم مكتب البريد (كنسنغتون) .. كما كان ورق الرسالة عادياً لا يحمل علامة ما .. ولذلك لم يستطع البوليس الاهتداء الى كاتبها ، فاتصل بالبوليس الايطالي بشأن جريمة جنوا وعندئذ علمنا لدهشتنا ان هذه الجريمة وقعت حقيقة وان ماريو مارتيني كان رساماً ماهراً في البحرية الايطالية ، وكان وقتئذ يشتغل بعمل رسوم سرية عن الغواصة التي اخترعها الايطاليون ، وكان المظنون انها تفوق الغواصات العادية الى حد بعيد ..

« ولم نعرف السر في سبب مقتل الايطالي والرجل الثاني الذي قتل بعده بيومين .. وأذاعت سكوتلانديارد في جميع الصحف تطلب الى مرسل الخطاب ان يتقدم اليها .. ولكن في اليوم التالي وجد رجل ملقي في حديقة منزل بكنغستون ، وقد دق عنقه .. وتبين انه يقطن بحجرة في الطابق الرابع ، وزاره بعض الناس في الليلة السابقة ولبثوا عنده الى وقت متأخر من الليل .. اما من هؤلاء الزوار فذلك ما لم يمكن لأحد ان يعرفه .. وقد تبين ان الرجل

ألقى به من النافذة ، كما تبين من مقارنة خطـه بالرسالة انه هو كاتبها .. ولم يكن له اقارب أو اصدقاء ، كما لم يكن يغـــادر حجرته إلا قليلاً .. فلما وجدنا مفتاحاً فضياً صغيراً في احـــد ادراج حجرته ، ادركنا ان الجمعية قد انتقمت من عضو خائن ..

ومن المحقق ان الجمعية قد انحرفت بعد هذا عن خطتها الاولى، من توزيع الاسرار الحربية على الدول جميعها ، واما الان فقـد تحولت الى عصابة اجرامية خطيرة يحاول بعض اعضائها الافادة من هذه الاسرار وبيعها لمن يدفع لهم اكبر مبلغ من الدول الكبرى..

وفي هذه اللحظة جاء الخادم يطلب لوبين للتلفون ، فلما عاد بعد دقائق اخبر روجر ان مسز اسكديل قد افاقت من سباتها، وذكرت له ان الفتاة زارتها لترى الرسالة الاصلية،فاخبرتها العجوز انها مزقتها . . وفي هذه الاثناء اقتحم الكوخ افراد العصـــابة وحقنوها في ذراعيها فلم تدر شيئاً مما حدث بعد ذلك .. واردف لوبين يقول :

ــ ولا بد ان عامل البريد قد تحدث بامر البرقية ، فعرف بها رجال العصـــابة وكان ما كان . . وعادت الفتاة لترى الرسالة بنفسها . .

ــ ولكن لماذا تبعها افراد العصابة؟ ولماذا خافت لدى رؤيتهم وامسكت بالعجوز مستنجدة؟ .بل لماذا خدروها وحملوها معهم؟..

ــ ان الأمر يستقيم لو فرضنا ان اميـــل وشركاه ارتابوا في مسلك الفتاة ، وخشوا ان تكون في الرســالة بيانات خطيرة لا ينبغي ان تعرفها ــ ولعلها من الاعضاء العاديين في الجمعية ــ فاقتفوا

اثرها وقبضوا عليها ..

ـ لا ريب إذن انها في خطر ..

ـ ربما كان الأمر كذلك حقاً !..

ومضى الرجال الثلاثة الى البار ليتناولوا بعض الاشربة ، وفيما هم يأخذون مكانهم شاهد لوبين رجلاً قصير القامة ، ذو وجه مكتنز وعينين ضيقتين يشع منهما الخبث والدهاء ، يدخل الى البار ويأخذ مكانه بجوار الاصدقاء الثلاثة ، وكان وجه لوبين جامداً لا يفصح عن شيء. فقد رأى في باقة معطف الدكتور بلفاج مفتاحاً صغيراً من الفضة ..

وكان الدكتور ثرثاراً ، خصوصاً اذا تناول شراباً ، فما كاد يجرع كأسه ، حتى اخذ يتحدث الى لوبين وصديقيه ، وما لبث ستاندش ان سأله :

ـ معذرة يا سيدي ما هذه الشارة التي تضعها في معطفك ؟

ـ انها شارة جمعية انتمي اليها ، وساذهب لحضور اجتماع لها الليلة .. وارجو ان لا تعدني مغالياً اذا قلت لك ان انصارها يملأون العالم ، وهي تتخذ المفتاح الفضي شعاراً لها ، ورمزاً على فتح باب عالم افضل واكثر هناء وسعادة .. والعضوية مفتوحة للجميع بلا تمييز ..

ـ جميل جداً .. سوف اطلب المزيد من المعلومات عنها .

فسأله بلفاج : هل لك ان تأتي معي لحضور اجتماع الليلة .. انت وصديقاك .. ان لكل عضو ان يحضر معه من يريد من اصدقائه ..

- انها مكرمة منك يا سيدي .. وأين يعقد هذا الاجتماع .؟
- في قصر املكه ويدعى هارتلي كورت ، على بعد ثلاثة اميال من هنا . وهو مؤجر في الوقت الحاضر لواحد من الاعضاء الراسخين في الجمعية نفسها ..

ونظر في ساعته ، ثم اردف :

- ويحسن بنا ان نمضي الآن فالاجتماع سوف يعقد في الساعة التاسعة والنصف ..

فقال لوبين وهو يهز رأسه :

- اخشى ألا يكون في وسعي ان احظى بهذا الشرف ، لأنني مرتبط بموعد في لندن يضطرني للذهاب اليها الآن ..

وكذلك اعتذر روجر فقام الطبيب ومعه ستاندش .. وما لبثا أن غادرا الفندق ..

وعندئذ ناول لوبين صديقه قصاصة صغيرة من الورق كان ستاندش قد دسها في يده منذ لحظة ، وقد جاء بها : يحسن ألا تحضرا .. فلعل هناك من يعرفكما .. ولكن كونا على استعداد في الخارج اذ ربما يحدث ما ليس في الحسبان ..

. . .

فيما كان لوبين يتحدث الى روجر فيما يجب عليهما عمله في مساء هذا اليوم .. اقبل عليهما شاب طويل عريض المنكبين وسيم الطلعة حيا لوبين وصديقه وهتف يقول :

- ماذا تفعلان هنا .. ؟

فقال لوبين : نحاول ان نسطو على المقصورة المجاورة ..!

وكان رونالد ستاندش معنا الآن ، ولكنه ذهب ليحضر اجتماعاً لجمعية المفتاح الفضي ..

فوجم غريغسون لحظة ثم غمغم : وما شأنه بهذه الجمعية .. ؟

ـ لقد دعاه سيد رفيق الى الذهاب معه .. ولكن خبرني يا غريغسون ، هل سمعت عن رجل يدعى الدكتور بلفاج .. او مريديت .. او الماني يدعي أميل ..؟

فصاح غريغسون ضابط المخابرات :

ـ لست أعرف الاولين . ولكن هل اميل متوسط القامة اسود العينين ، يدل مظهره على الخطر ؟ .. حسناً ربما كان اميل فايت .. ولكن خبرني ما حقيقة الامر فانه يبدو لي ان الظروف قد جمعتنا في قضية واحدة ..

فسأله لوبين : هل تعرف شخصاً يوقع بامضاء ٥٠١ ..

فصاح غريغون : انه غنغر لوفلاس بالتأكيد .. فما شأنه ؟

فقال لوبين : لقد القى برسالة في كوخ كنت فيه الليلة الماضية بينما كان اميل وعصابته يقتفون اثره ...

وقص عليه لوبين حوادث اليومين الماضيين .

وقال غريغسون : ان كل ما اعرفه عن (لوفلاس) انه منح اجازة لمدة شهرين ومعنى ذلك انه كاف بمهمة معينة .. والذي اعرف انه كان في بولونيا بل لقد كنت اظن انه هناك حتى الان .. اما انا ..

وخفض الضابط من صوته وهو يستطرد :

ـ اما انا فقد جئت لمهمة غريبة . فعلى ان اقابل امرأة هنا في

الساعة العاشرة فاسمع ما تريد ان تقوله لي ، ثم اتصرف كما يبدو لي على ضوء المعلومات التي سأتلقاها .. وها هي الساعـة قد شارفت العاشرة ولن تلبث المرأة ان تحضر ..

– او لعلها لن تحضر يا همفري.. وقد بدأت ارى جيداً وسط الظلام .. الا تعرف وصف المرأة ؟..

– كلا .. ولا يعلمه الرئيس ايضاً .. ولكنه كان يذكر جمعية المفتـاح الفضي ، ويبدو انك ايضاً على صلة بهذه القضية .. ولكن هل تظنها الفتاة التي رويت لي قصتها الآن ؟

– ربما كان الامر كذلك .. ولعلهـــا تعمل في دائرة المخابرات مثلك .

– لم اسمع باسمها من قبل ..كما ان المرأة التي اتصلت بالرئيس لم تذكر اسمها . وقد كان اتصالها به بعد الغداء ،وقد ذكرت في حديثها معه جمعية المفتاح الفضي ، واميل فايت ..

– وهل تعرف شيئاً عن هذا الالماني؟

– كان يشغل مركزاً رفيعـاً في ادارة المخابرات السرية الالمانية اثناء الحرب العالمية الاولى .. اما الان فهو جاسوس دولي ، يخدم من يدفع له اجراً محترماً ، ولكن هيا بنا الى المنزل الذي يعقد فيه الاجتماع ..؟ فقد بلغت الساعه العاشرة والنصف ولم تحضر المرأة ، وقد لا تحضر ...

٥

لوبين في الاسر

سلك لوبين طريقاً جانبياً ملتوياً في ذهابه الى (هارتلي كورث) فلما شارفه ابصر صفاً من السيارات ، فعلم ان الاجتماع لا يزال منعقداً .. فكمن الثلاثة في موضع منعزل خلف الاعشاب ، واخذوا يراقبون القصر ، والاضواء المتلألئة في القسم الخلفي منه حيث كان يعقد الاجتماع . .

وكانوا في مكانهم يرون جانباً من الموائد التي مدت للمجتمعين .. ويشاهدون رجلاً ممتلىء الجسم يلقي خطاباً .. ولكنهم لم يستطيعوا سماع حرف مما يقوله .. واخيراً سمعوا صوت تصفيق حاد ، ثم وقف على الاثر (مريديت) يلقي كلمة . .

واستطاعوا ان يروا (رونالد ستاندش) يجلس بجانب الدكتور .

وانفض الاجتماع اخيراً ، وغادر الحضور موائدهم ، ووقفوا حلقات صغيرة يتحدثون ، ودنا في هذه اللحظة (رونالد ستاندش) من النافذة ، وهو يتحدث الى الدكتور بلفاج ، ثم اشعل لفافة من التبغ وادار ظهره الى النافذة ، فلمحوا ضوءاً صغيراً يتحرك في حركات متعاقبة . فغمغم لوبين :

- انه يرسل الينا اشارة بطريقة مورس ..

وبعد لحظة اردف : انه يقول .. هل انتم هنا .. اجيبوا بمثل صوت احد الطيور ...

فأسرع روجر يقلد نعيب البوم .. وعندئذ بدأن الاشارات من جديد .. وكان فحواها هذه المرة : « انتظروا سوف الحق بكم .. خطر .. »

وخطا ستاندش بعد ذلك الى داخل الحجرة ، وفي الوقت نفسه كان المجتمعون ينفضون ، وقد علا صوت محركات السيارات عند الواجهة الامامية المنزل ..

وبقي الدكتور بلفاج ومريديت في الحجرة ، على حين لم يكن يظهر من القصر وقتئذ اي ضوء آخر ، وكان يبدو أنهما يتجادلان . وقد ظهر الانفعال الشديد على الطبيب ... في حين راح مريديت يهدىء من ثورته .. وأخيراً صاح الطبيب بعبارة سمعها الكامنون اذ قالها في صوت حاد مرتفع :

- هذا جنون .. لماذا لم تخبروني بالامر ? ..

وأخيراً انتهى جدالهما ، ودنا (مريديت) من النوافذ فأوصدها في احكام .. وعندئذ تقدم لوبين نحو النافذة الموصدة وراح يختلس النظر خلال شقوق مصاريعها الخشبية ، فشاهد بلفاج يذرع الحجرة وقد قطب جبينه ..

ولكنه وقف فجأة وواجه الباب ، وعندئذ رأى لوبين ظلاً يسقط على الارض ، وتبعه رجل اسمر الوجه ذو وجنتين بارزتين وانف معقوف حدس لوبين لتوه انه اسباني .. فتقدم نحو

الطبيب قائلًا :

– كيف الحال يا دكتور بلفاج ؟ ..

– كما كنت اتوقع .. فان هذا الرجل شيطان لا تلين له قناة .

وسمع لوبين صوتاً جديداً ، كان صاحبه مختفيـــا في ركن الحجرة يقول : ان غيره كانت ارادته حديداً .. ولكنها تلاشت اخيراً .. فالمسألة مسألة وقت ..

– ولكننا لم يعد لدينا وقت نضيعـه .. ثم ان هذا الرجل ارلو ، الذي لم اسمع عنه إلا الليلة عند قدومي هنـا ، قد يكون يعرف الكثير .. قد كان من الجنون ان لا تخبروني عنه من قبل ومن العجيب انني دعوته بنفسي للحضور الى هنا ..

– وماذا لو فعل ؟ .. ان ذلك كان يخفف عنا بعض مضايقاته ولكن اعصابك شديدة التوتر الليلة يا دكتور ..

– لعنة الله عليها ، فمـا عدت احتمل اكثر من ذلك .. ولم يخطر لي قط ان الامر سيطول الى هذا الحد .. ومن المحتمل بعد ما حدث ليلة الامس أن نفاجأ بأحداث اخرى ..

– هدىء من روعك يا دكتور .. واني اعترف انه كان من سوء الحظ ان صديقنا اميل سمح لذلك الشرطي المتطفل بأن يهزأ منه ، كما كان من سوء الطالع كذلك انه حسب (ارلو) عاملًا ريفياً غبياً .. ولكني واثق ان (ارلو) هذا لا يعرف شيئاً عن حقيقة الامور ... والا لما مكث في كمبردج ..

– لو اننا علمنا مدى معرفته بالحقيقة ؟..

– ربما وصلنا الى ذلك قريباً ..

وكان المتكلم قد دنا من نطاق رؤية لوبين ، فوجده الرجل الطويل الذى كان في الكوخ .. وفي الوقت نفسه سمع خلفه صوتا يغمغم في همس :

ـ يا الهي .. انه غريغوروف !

وكان ستاندش هو الذي قال ذلك ، ثم استطرد :

ـ انه اعظم المجرمين خطراً واشدهم بطشاً .. وهو يعمل في المخابرات السرية الروسية ، وكان ينبغي ان احذر من هو عندما حدثتني عنه الليلة ..

وفي هذه الأثناء كان الروسي يقول :

ـ لقد اتخذت هذا المساء بعض الخطوات التي تحول دون معرفة أرلو المزيد من المعلومات .. واظنها كافية . اما الان فهيا ننصرف من هذا المنزل ..

ولم تمض لحظات حتى أطفىء الضوء في الحجرة ، وعندئذ ساد القصر ظلام دامس .. وعاد لوبين وستاندش إلى زميليهما حيث سأل ستاندش عن سبب إنذاره لهم بالخطر فقال :

ـ كان كل شيء يبدو بريئاً طبيعياً ، حتى رأيت مريديت ، فتبينت انني سبق ان رأيته من قبل .. وذلك عندما حكم عليه بالسجن سبع سنوات بتهمة التزوير ، وكان اسمه وقتئذ فيرجوسن .. فوجدت من الحكمة ان انذركم . ولكني لم ار في الاجتماع اميل فايت ، ولا غريغوروف .. وهأنذا الان قد رأيت الاخير ، فلم يعد عندي شك في اننا وراء مغامرة خطيره ، وكما قلت لك في الفندق ، فاننا امام حالة تشبه حالة ماريو مارتيني الايطالي .. ولكن من

ذلك الذي قبضوا عليه ، وما هو السر الذي يسعون لمعرفته، فهذا ما لا استطيع ان احدسه ..

وفي هذه اللحظة انبعثت في وسط السكون صيحة مدوية ، هي صيحة امراة تستغيث .. وكانت صادرة من داخل القصر .. فأسرع الرجال الاربعة نحوه ، وراحوا يبحثون عن نافذة مفتوحة يتسللون منها ، فكان من حسن حظهم ان وجدوا الباب الخلفي للقصر غير محكم الغلق ، فولجوه ، وبعد لحظة كانوا داخل المنزل .

وكان السكون عميقاً والظلام شاملاً ، فأشعل لوبين مصباحه الكهربائي حتى وجد الدرج ، ومن ثم راح يرتقيه وخلفه زوملاؤه في خفة وحذر ..

ورأوا بصيصاً من الضوء ينبعث من حجرة كان بابها منزوياً، فأدركوا أنها حجرة داخلية ولكنهم قبل ان يصلوا الى قمة الدرج سمعوا نشيج المرأة وعويلها ، على حين اجابها صوت اجش غليظ :

ــ ان عقاب الخونة الموت ...

وعندئذ أسرع لوبين نحو باب الحجرة فدفعه مرة واحدة ، ولدهشتهم وجدوا انها حجرة للعمليات الجراحية ، كالتي توجد في المستشفيات .. وكانت جدرانها ناصعة البياض والضوء فيها ساطعاً يبهر الانظار .. وكانت ادوات الجراحة تتألق امام انظارهم ، كما كانت منضدة العمليات في وسط الحجرة وحولها كثير من الأدوات اللامعة ...

وبدت لهم الحجرة خالية ، ولكنهم ما لبثوا ان رأوا امرأة ملقاة في ركن الحجرة الداخلي والدموع تهطل من عينيها ..

ولكنها كانت قد كفت عن النشيج وراحت تحدق النظر اليهم في دهشة وحيرة.. وكانت سمرة بشرتها تنم على انها اجنبية عن البلاد.. وما لبثت ان وضعت اصبعها على فمهـــا محذرة ، اذ كانت غمغمة اصوات تنبعث من الممر امام الحجرة ، ثم غمغمت :

- انقذوني .. انقذوني بالله عليكم ...!!

فأجابها لوبين : سوف ننقذك ، فانهضي ..

- ولكني موثقة !...

فأسرع لوبين يذرع الحجرة إليها ، ويحملها بين ذراعيه ، اذ كان من المحتمل ان يحضر افراد العصابة بين آن وآخر ، بينما كان لوبين يود الخروج بالمرأة في اسرع وقت حتى يعرف ما لديها من معلومات عن غريغوروف واميل فايت واتباعهما ..

. . .

وعندئذ حدث أمر مفاجيء إذ أغلق باب الحجرة بغتة بصوت مسموع ، فوضع لوبين المرأة على منضدة العمليات، وراح يفحص الباب فوجده من الصلب وقفله أشبه بأقفال الخزائن الحديدية ..

ولم تكن بالحجرة نوافذ البتة ، كما ان تحطيم هذا الباب يحتاج الى طن من الديناميت.. او الى ساعتين على الاقل حتى يستطيع لوبين فتحه بمهارته المعهودة . . وعنـــدئذ كانت المرأة تغمغم في لكنة اجنبية :

- ويلاه .. انها الحجرة المرعبة التي يشرح الطبيب فيها أجساد الناس .. والصوت لا ينفذ من جدرانها قط ..

فقال لوبين : ما شأنك بهم يا عزيزتي ؟ . ولماذا سجنوك ..

– لانني عرفت اشياء ما كان ينبغي ان اعرفها .. وقلت انني سأبلغ البوليس .

– وما هي هذه الاشياء ؟..

– لقد قبضوا على الرجال وسجنوهم في مكان بعيد .. وهانحن ايضاً قد غدونا سجناء بدورنا ..

– ألا تعرفين شيئاً من هؤلاء الأسرى ايتها الآنسة ؟..

– كلا يا سيدي .. كلا .. ولكن احدهم عجوز ، بينما الآخر في مثل سنك .. وقد حبسوهم في منزل كبير جداً .. ولكن .. رباه !.. انني أشعر بشيء غريب !.. والواقع ان لوبين كان يحس بذلك الشيء الغريب نفسه ، ولذلـــك جلس فجأة إذ شعر بقواه تخور ، وبأنه لا يستطيع ان يحرك ذراعيه او قدميه .. كذلك كانت حال زملائه الثلاثة ، فقد سقطوا على الارض واحداً بعد الآخر ..

وحاول ان يخرج مسدسه ، ولكن ذراعه لم تطاوعه وكأنها قيدت الى جانبه بقيد من حديد .. كذلـــك كانت قدماه كأنما سمرتا في الارض .. وكان يشم رائحـة ضعيفة لذيذة ، أدرك انها رائحة غاز يشل الحركة ، ولكنـــه لا يمنع فريسته من الرؤية والسمع ..

ورأى رجلاً ينحني فوق ستاندش ويوثق يديه وقـدميه .. وعندئذ أدرك انه ايضاً قد عومل بالمثل وانه قد ربط في مقعده .. وما لبث الرجل ان اختفى وعـاد السكون يشمل الحجرة من جديد ..

وكان لوبين يشعر بتبلد في ذهنه ، فظـل ينظر الى ستاندش نظرة جامدة لا معنى لها ، كثمل لا يعي .. ومـا لبث ان شعر بوخز في ذراعيه وساقيه ، فعـلم ان المخدر قد بدأ يزول اثره .. واخيراً استطاع ان يفيق منه تماما ، وان يحرك رأسه فيرى روجر قد افاق بدوره وكذلك ستاندش . . ولكن غريفسون كان لا يزال واقعاً تحت تأثيره . اما الفتاة فلم يكن لها أثر في الحجرة ..

وكان واضحاً ان الغاز قد نفث في الحجرة من طاقة تكييف الهواء .. اما أين كانت الفتحـة ، فذلك ما لم يعرفه لوبين . . ولم يتسع له الوقت للتفكير به ، اذ كان الباب قد فتح ، ودخل منه غريغوروف والاسباني واميل فايت ومعهم رجلان من اتباعهم ..

فقال الروسي وهو يشير الى روجر :

– لقد كان هـذا الرجل مع أرلو في الكوخ عصر اليوم . ولكن من هذان الآخران ؟..

فقال فايت لستاندش :

اظنني رأيت وجهك من قبل .. من انت ؟

– لا شأن لك بهذا ..

واستطرد الروسي يقول للوبين :

– أليس من العجيب يا مستر أرلو .. ان ابسط الخـــدع وايسرها هي اوفرها نجاحاً ؟ ودعني اقول لك انك جلبت المتاعب على نفسك وعلى اصحابك معاً .. وكان ينبغي ان تدرك من اول الأمر .. انك تضـايقني بتدخلك في شئوني ، وانني لن امسكت على فضولك هذا ، ولن اهنأ حتى اضع له حداً . . ولكنك من

جهة اخرى أتحت لنا فرصة اختبار شيء معـــين كنا نهتم به كل الاهتمام ، ولذلك عزلت على ان ابقى على حياتكم جميعا بشرط معين .. هو ان تخبرني بالنص الحقيقي للرسالة التي تلقيتها من الكوخ امس . . واعلم ان حياتك معلقة على تحقيق هـــذا الشرط . .

– هب انني تلقيت هذه الرسالة ، وانني اخبرتك بفحواها ، فهل تطلق سراحنا الآن ؟ . .

فابتسم غريغوروف في خبث وقال :

انك يا عزيزي المستر أرلو تحكم على عقلية سائر الناس بما توحيه اليك عقليتك انت .. ولا تنس انك اشتهرت باخـــتراع الرسائل ، ولذلك فلن نطلق سراحك على الفور ، وانما ستبقى هنا حتى نفرغ من العمل الذي جئنا من اجله الى هذه البلاد ..ولكنك اذا اعطيتني الرسالة الحقيقية .. فاني اعدك بالا يطول احتجازك اكثر من بضعة ايام .. ولا ريب ان رجالاً في مثل قوتكم لن يقتلهم جوع ثلاثة ايام او اربعة .. امـا اذا رفضت الادلاء الي بالرسالة ، فاني اخشى ان تظلوا في هذا المحبس مدة غـير محددة ، ربما كانت شهوراً او اعواما .. لاننا عندما نرحل الليـلة سوف نغلق القصر ونشيع في الأنحاء المجاورة أن مستر مريدت قد رحل الى الخارج ..

– وماذا يكون موقف مريديت عندما تكتشف جثتنا ؟

– انه لا يعرفكم .. ولا ريب أنكم سطوتم على القصر واغلق عليكم باب الغرفة بخطأ غـير مقصود .. خطـــأ رهيب أدى الى

كارثة ..

– وهل أوثقت أيدينا وأرجلنا بخطأ غير مقصود أيضا ؟

– سوف نحل وثاق احدكم يا مستر أولو، وعليه أن يحل وثاقكم بعد رحيلنا .. وسيكون في وسعكم أن تجولوا في الحجرة كيف شئتم، وأن تصيحوا ملء افواهكم وان تقرعوا رؤوسكم بالجدران.

وكان لوبين قد اخلد الى التفكير . وما لبث أن قال :

– هب انني اخبرتك بفحوى الرسالة ، فما هو الضمان على انك ستحافظ على وعدك ؟ .

– لاشيء .. ولا تنس انك لست في مركز يسمح لك باملاء هذه الشروط ..

– حسناً . سوف اجازف بحياتي .. وارجو ان يكون فحوى الرسالة ذا معنى بالنسبة اليك ، فقد عجزت وزملائي عن فهمها . لقد كانت هكذا : « روز ماري ب ج س دور » .

فقال الألماني : اين كانت الرسالة عندما فتشتك ؟ ..

– حيث وجدتها فيما بعد .. بين زجاج النافذة المحطمة ..

– واين هي الآن ؟ ..

– في رأسي ، فقد احرقتها ..

وراح غريغوروف والألماني يتبادلان الحديث همساً برهة ، بينما كان ستاندش ينظر الى الاسباني ملياً .. واخيراً عاد غريغوروف يسأل لوبين :

– ألا تعرف معنى هذه الرسالة؟ او شخصية كاتبها ؟ .

– كلا .. فانها مكتوبة بشفرة سرية فيما يبدو لي ..

- ولماذا اختلقت تلك الرسالة الاخرى التي ابرقت بها عجوزك الشمطاء ؟..

- لقد اردت ان اسخر من اصحابك .

- وهل يعلم احد بفحوى الرسالة الحقيقية ؟..

- كلا .. فيما عدا رجال البوليس في بلمورتون .. فقد اخبرتهم بها عندما ابلغتهم بمقتل الرجل الذي اغتيل في الكوخ ..

- سؤال آخر يا عزيزي ارلو .. ما الذي تعرفه عن تلك الفتاة دوريس فينابلز :

- لا شيء بالمرة .. سوى انها بارعة في تأليف القصص المسرحية ..

وعندئذ قال الألماني انه قد تذكر ستاندش ، فقد كان يعمل بادارة المخابرات منذ عام ، فقال الروسي وقد ازداد قطوبه :

- ذلك يجعل الأمر وجها آخر .. لقد كنت اعتقد ان امامنا عصبه من الهواة الحمقى ..

فقال ستاندش : ولكني تركت هذا العمل في العام الماضي .

- هراء .. ما الذي اتى بك الى هنا الليلة ؟ .

- لقد كان الدكتور بلفاج هو الذي دعاني لحضور الاجتماع ..

- وبعد ذلك وقفت مع زملائك في الحديقة تتجسس علينا ؟

- لقد سمعنا صرخة الفتاة ..

- كان ذلك بعد عشرين دقيقة من فض الاجتماع ! وقد كانت هذه الفتاة هي الشرك الذي نصبته لـــكم ، اذ كنت واثقا من وجودكم في الحديقة ..

وكان لوبين يضحك في سخرية ، فجن جنون الروسي وصاح

بالاسباني :

ـ جردهم من اسلحتهم يا كورتيز ..

ثم تحول الى لوبين صائحا : ايها الأحمق .. هل تظن في نفسك القدرة على اعتراض سبيلي ؟..

«حسنا .. سوف تلقي جزاء حماقتك هـذه ..وسوف تموت وزملاءك ميتة بطيئة شنيعة .. سحقاً لك ألا تكف عن هـذا الابتسام ؟..»

ورفع يده في غضب واهوى بها على وجه لوبين في صفعـة مدوية...ثم اشار الى الاسباني ثانية ليحل وثاق غريفسون ..

وكانت عينا لوبين تقدحان شرراً وهو يقول :

ـ لقد حدث لي هذا مرة واحدة قبـل اليوم .. اما الرجل الذي فعل ذلك فقد قتلته .

ولم يجبه الروسي .. وبعد لحظـة كان البـاب يوصد في عنف خلف رجال العصابة ..

وعندئذ قال لوبين فجأة :

ـ ان هذا الرجل ليس اسبانياً ، بل هو مكسيكي ..

فنظر اليه الثلاثة الآخرون في حيرة ، على حين قال روجر :

ـ مامعنى ذلك بحق الشيطان ..؟

ـ لقد استطعت ان أفك رموز الرسالة السرية ..

فصاح الجميع في دهشة ، بينما استطرد لوبين :

ـ اجل .. لقد عرفت السر.. ولكني عرفته بعد ان حبسنا هنا كالجرذان ..

انحنى رئيس الخدم في (ريتز كارلتون) امام الزائر العظيم الذي كان يتناول العشاء في حجرة خاصة ، وهو يقول :

– لعل كل شيء على ما يريده مولاي ..

– شكراً يا هنري .. ان كل شيء على ما يرام كالعادة .

فانحنى الخادم ثانية في احترام بالغ ، امام المليونير الكبير ..

وانتهى (ايفور كالنسكي) من عشائه ، فاشعل لفافة راح يدخنها على مهل .. وقد غاص في لجة من التفكير ..

فقد كان (كالنسكي) يواجه احدى المعضلات الكبرى في حياته ، كان يريد ان يقطع برأي فيما اذا كان يجب ان تقع حرب اوروبية ام لا . .

ان الحرب تدر عليه الملايين .. من بيع الاسلحة والذخائر الحربية ، فهل يقدم عليها والعالم لا يزال جريحاً من الحرب الماضية . . .

وفيما هو في شأنه يفكر في هذه القضية ، دخل عليه اميل فايت الالماني فحدجه كالنسكي بنظرة طويلة ثم قال له :

– فهمت من رسالتك ان لديك شيئاً بالغ الاهمية تريد ان تفضي به الي . . فما هو ؟

– سيكون لدي بعد يومين اهم الأسرار العسكرية الانكليزية فهل في وسعي الاعتماد على مكافأتك اذا جئتك بهذه الاسرار . .؟

– وما هي هذه الاسرار . .؟

– لقد استطاع احد علماء الكيمياء الانكليز اختراع غاز جديد لا لون له ولا رائحة ، اخف من الهواء قليلاً ، لا يعقب

ضرراً بعد انتهاء اثره ، وهو أثر عجيب حقاً، اذ يصيب الاعضاء بشلل كامل بحيث لا يستطيع المرء ان يتكلم او يتحرك ، وان كان يشعر بكل ما يدور حوله . . وتتوقف مدة هذا الشلل على كمية الغاز المستعملة ، وهي عادة بين عشر دقائق ونصف ساعة . ولكن اهم ما في الامر . .ان الانسان لا يعرف بانتشار الغاز في الهواءإلا بعد ان يحدث اثره، وعندئذ يكون من العبث مقاومته . .

«واتصل بي غريغورف شريكي على الاثر وقررنا خطف المخترع، حتى نجبره على البوح لنا بسره،كما اتصلنا بالدكتور بلفاج وهو يملك قصراً في كمبودج به حجرة داخلية للعمليات لا ينفذ منها الصوت، فضلًا عن ان الطبيب عضو في جمعية المفتاح الفضي . .

« ولكن الطبيب كان قد أجّر قصره لشخص يدعى مريديت ، وكان الاثنان يسعيان خلف المخترع ايضاً . . بل اختطفاه فعلًا منذ اكثر من عشرة ايام ، ليعرفا منـــه سر الغاز ، وقد اخـبرني الطبيب ان غرضه مما فعل . . .هو نشر طريقة صنعه لتعرف به جميع الدول عملًا بمبادىءالجمعية . . ولكني كنت اعرفه جيداً ، فكذبته في وجهه وافهمته ان يكف عن مخادعتي . .

« فاخـبرني انهم خطفوا والدرون المخترع ، ووضعوه في نزل منعزل ونحن الان في سبيل الوصول اليه إما بمساعدة الجمعية او بمعزل عنها . .

«والسر الثاني يتعلق بطائرة جديدة اخترعها رجل اسكتلندي ، يدعى جراهام كالدويل ، قررنا في الوقت نفسه سرقة اختراعه . . .

« كان هذا يا مستر كالنسكي ما كنا قد عقدنا العزم عليه، لولا

ان تطور الموقف تطوراً خطيراً .. إذ حدث منذ اربعة ايام ان كان غريغوروف واقفاً في إحدى النوافذ عندما رأى رجلاً يحوم حول القصر ، عرف فيه للتو احد ضباط المخابرات السرية ، وكان قد رآه في وارسو عندما اتصل بذلك الشاب الانكليزي الذي عرف منه سر الغاز ... ولا ريب في ان هذا الضابط ، ويدعى (غنغر لوفليس) ، كان على بينة من الامر ، وتبع غريغوروف إلى انكلترا ..

« فاضطر شريكي الى العمل سريعا ، فتسلل خلف الرجل وضربه بهراوة على رأسه القته فاقد الرشد ، ومن ثم حملناه الى حجرتي . ثم نقلناه الى قصر الدكتور بلفاج في كمبردج ، ويسمى هارتلي كورت ، لنسجنه في حجرة العمليات الداخلية .. فحقنته بمادة مخدرة ، واخذته في سيارتي مع رجل آخر من اتباعي اثناء الليل ، وكان الضباب كثيفاً حتى اضطررنا الى السير في بطء .. ولكن (لوفليس) افاق من اثر المخدر اثناء الطريق ، فتسلل من السيارة ولكني شعرت به ، واطلقت عليه رصاصة اصابته ، ولكننا لم نجده ثانية إلا بعد ان كان قد ألقى برسالة سرية في احد الاكواخ هناك .. وقد فتشنا الكوخ فلم نجدها ولكن الشخص الذي عثر عليها ، وهو رجل صعب المراس صلب العود يدعى المستر ارلو ، بدأ يضايقنا هو وثلة من اصدقائه حتى استطعنا ان نوقع بهم في الشرك ، ولكن بعد ان كلفنا ذلك غالياً ، اذ اضطررنا الى استخدام الكمية القليلة التي كانت معنا من غاز والدرون فيهم ، وبذلك لم يعد لدينا شيء منه ، وقد اثبتت هذه التجربة ان هذا الغاز يستحق العناء الذي يبذل

في سبيل الحصول عليه .. »

فأخلد (كالنسكي) الى الصمت لحظة وما لبث ان قال :

ــ سوف اعطيك الان خمسة الاف جنيه لمصارفاتك ، ومتى حصلت منك على الاختراعين ودرستهما قررت المبلغ الذي يجب علي دفعه . وانت تعرف عنواني في باريس ، فما عليك الا ان توافيني بالرسوم والتفاصيل اليه ..

وتناول فايت المبلغ ، ثم انحنى في احترام بالغ ، وغادر الحجرة .

ووقف امام مدخل الفندق الكبير يتأمل قليـــلا في الحركة الصاخبه التي تضطرم في الميدان ، ويفكر في الاتفاق الذي عقده مع كالنسكي ، عندما سمع فجأة صوتاً يقول خلفه بالألمانية :

ــ هل كانت امسية موفقة يا هر فايت ..؟

فاستدار دفعة واحدة كانما أصيب بلطمة على راسه ، ولكنه لم ير سوى احد عمال الفندق يرتدي حلة زاهيـة ، ويقول في صوت رقيق :

ــ هل أحضر لك سيارة يا سيدي ..؟

ــ كلا . ولكن ألم تسمع احداً يتحدث الي الآن بالألمانية؟

فرفع الرجل حاجبيه دهشاً وقال :

ــ الالمانية .. هذا امر عجيب حقاً .

فزمجر (فايت) وتحول الى الدرج ماضياً في سبيله ، وقـــد احس بقلق خفي ، فعلى الرغم من ان الكلمات كانت المانية ، إلا ان لهجة قائلها كانت انكليزية بالتأكيد ..

٦

انتصار لوبين

ما كاد (فايت) يلج ردهة الفندق حتى وجد الروسي جالساً في انتظاره ، وقد بدت على وجهه امارات القلق ، فلما شاهده مقبلًا ابتدره :

– هل قرأت صحف المساء ؟

واشار الروسي الى فقرة راح (فايت) يقرأها في امعان ، وقد ثارت دهشته وكان عنوانها :

« قصر ريفي تدمره النيران »

وقد جاء في الخبر ان النار شبت في قصر (هارتلي كورث) فدمرته تدميراً في الساعة الاولى من الصباح ، وقد ذهبت جهود رجال المطافيء هباء نظراً لقلة المياه في تلك المنطقة .. ويرجح ان سبب الحريق تماس في الاسلاك الكهربائية ..

وساعد على شبوبها ان القصر كان خاليا من ساكنيه ، فلم يفطن احد للنار إلا بعد ان اندلعت وحمي اوراها ..

واضافت الصحيفة انه أكتشف بقايا عظام بشرية بين الحطام ، ولكن تبين ايضاً ان صاحب القصر الدكتور بلفاج كان يحتفظ

ببعض الهياكل البشرية الكاملة لاغراض علمية تتصل بمهمته ..

وسأل فايت الرومي بعد ان انتهى من قراءة الخبر :

– الى اي حد يؤثر هذا الحادث في عملنا ؟

– لا شيء حتى الان .. ما لم يكتشف البوليس حقيقة هذه العظام ، واشد ما اخافه ان يكون بجانبها ما ينم على شخصية اصحابها .. فيواجه (مريدت) على الاثر موقفا خطراً ، وقد يعترف بالحقيقة للبوليس لانقاذ نفسه ..

فقال فايت : ان لا يجرؤ على ذلك ، فكن مطمئناً ... وسوف نبحث مصيره ..

ثم مضى يحدثه باتفاقه مع كالنسكي ، وان من الواجب ذهابهما الى اسكوتلندا للحصول على رسوم الطائرة من مخترعها ، ثم التخلص منه وقتله والقاء المسئولية على بلفاج ومريديت والاسباني كورتيز ..

فقال الرومي : انها فكرة عظيمة ولكن هل يمكن تنفيذها؟

– نعم شرط ان نأتي بالمخترع ورفيقه الى جسر الجواد ،حيث يوجد والدرون مخترع سر الغاز فنحصل على سره منه ، ثم نبيع الاختراعين معاً صفقة واحدة .. ولا نلبث ان نسلم البضاعة الى كالنسكي في باريس .

ونهض فايت وهو يفرك كفيه في ابتهاج واردف :

– وسوف تنجح هذه الخطة حتماً ما لم يجد شيء ليس في الحسبان .. وهو امر اعده مستحيلاً .. بعد ان قضينا على (أرلو) واصدقائه ، وبعد ان امسكنا بضابط المخابرات لوفليس بين ايدينا

وكذلك تلك الفتاة دوريس فينابلز التي لا زلت في حـــيرة من حقيقة دورها في هذه المغامرة . . فهل هي حقيقة لا تزيد عن عضو شديد الحماسة في جمعية المفتاح الفضي كما يقول مريـديت ؟ ام هي تعمل لحساب ادارة المخابرات بدورها ؟

— مهما يكن من امرها فما دامت تحت تأثير المخدر دواماً ، فهي عاجزة عن عمل اي شيء . . وينبغي ان تظـل كذلك حتى نجلو عن البلاد . .

واخلد فايت الى التفكير برهة ، وما لبث ان قال :

— ارى ان اعود معك الى مركز القيادة الان . . فان علينا ان ننام قليلًا ، ثم نشرع في العمل . .

ومضى فايت يحضر حقيبته ويضعهـا في السيارة ، فلما درجت بهما في شوارع لندن كان الليل قد انتصف . .

وكان الطريق طويـلًا الى جسر الجواد . . بحيث وصـلا الى القصر بعد ان اشرقت الشمس . . فتسللا الى الداخل وفي عزمهما ان يأويا الى حجرتيهما . . ولكنهما وقفـا في البهو قليلًا حيث صب غريغوروف لنفسه كأساً من الشراب ، بينما وقف فايت في النافذة يتأمل المروج المجاورة . . ثم هتف فجأة :

— انظر الى تلك النافذة يا غريغوروف

فقد كانت امرأة تقف في النافذة منحنية الى الامام تحدق الى ناحيتهما . . . ولم تكن تلك المرأة سوى دوريس فينابلز . .

. . .

كان الطبيب قد غفل عن حقن الفتاة بالمخدر في الموعد المناسب ،

فأفاقت من تأثيره ووقفت في النافذة تستنشق هواء الصباح .. او هكذا قالت لغريغوروف وفايت عندما اقتحما حجرتها بعد قليل وراحا يستجوبانها .. وراحت تصر على انهـا عضو بجمعية المفتاح الفضي ، وان حماستها لمبادىء الجمعية هي التي جعلتهـــا تعمل مع مريديت واصدقائه ..

ولكن فايت لم يقتنع بهذا القول ، وامسك بالفتاة يجرها نحو الباب ، فصاحت به :

– الى اين تقودني ايها الوحش ؟...

– لقد كنت شديدة الفضول الى معرفة مركز قيـــادتنا ، ولذلك سوف أريك بعض حجراته السفلى .. وستظلين سجينة في الأقبية الرطبة حتى تبوحي لنا بحقيقتك ..

وعندئذ وقع بغتة امر مفاجىء ، اذ ظهر في باب الحجرة شاب يترنح كالثمل ، وقد شحب وجهـه شحوباً شديداً ، وحول رأسه عصابة قذرة .. فلم تملك الفتاة نفسها عن ان تصيح :

– تومي .. عزيزي تومي .. ماذا فعلوا بك ايها الحبيب ؟..

فغمغم الشاب في صوت خافت ضعيف :

– لقد سمعت صوتك يا دوريس ، فجئت لأراك ..

وبدا الاهتمام في وجه الالماني فقال :

– ارى انك تعرفين الكابتن لوفليس معرفة وثيقة يا عزيزتي ..

فصاحت به الفتاة في تحد : انه خطيبي ايها الوغد ..

– آه !.. إذن فقد زعمت انك عضو بالجمعية كي تحاولي انقاذه ؟ ..

– نعم .. ولو كانت لديك ذرة من الشهامة لأخليت سبيلي ..

ـ وهذا هو السبب في ذهابك الى كوخ ذلك المغفل بعدالظهر لتحصلي على الرسالة الحقيقية ؟..

وتحول الى الضابط فقال له: هل لك ان تخبرني عن حقيقة معنى هذه الرسالة الغريبة ؟.. انني لم افقه حرفاً لهذه الكلمات (روزماري ب ج س د و ر) فماذا عنيت بها ؟..

فنظر اليه لوفليس وغمغم: روزماري؟.. انني لا افهم شيئاً..

وصمت فجأة ، وما لبث ان اردف : انني لا اذكر شيئاً .. فالأمر كله كالحلم ..

وضاق فايت ذرعاً بالاثنين فحقن لوفليس بالمخدر في ذراعه ، على حين دفع الفتاة في عنف إلى خارج الحجرة ، فاجتازت ردهات طويلة قبل أن تقف امام باب ضخم من الحديد فتحه فايت ، ودفعها امامه الى درج حجري ضيق فراحت تهبطه في بطء وحذر .. وكانت قطرات الماء تتساقط فوق رأسها من السقف .. على حين كانت رائحة الرطوبة العفنة تنبعث من الأسفل قوية حادة خانقة .

وكانت لا تكاد ترى ما أمامها لحلكة الظلام ، ولكن عينيها اعتادتا ذلك بعد قليل ، فاذا بها ترى في ركن من القبو فراشاً من القش رقد عليه رجل يتململ في الم ، وصليل السلاسل ينبعث من ناحيته كلما تحرك .. وكان يقف الى جانبه شيخ أشيب يصيح بالأسير :

ـ الا تتكلم ايها الشرير .. افض اليّ بسر هذا الغاز الذي اخترعته حتى يعرفه العالم ..

فأجابه المسكين في صوت خافت :

— لن اتكلم بشيء .. فدعني وشأني ايها الرجل الخائن وطنه.

وعند هذه العبارة وقع بغتة امر يكاد يشبه الخوارق .. فقد انبعثت ضحكة مدوية من مكان ما في اعلا الدرج .. ضحكة مليئة بالسخرية والتهكم ..

فانتفض فايت وتلفت حواليه وهو يسأل في صوت متهدج :

— من الذي ضحك هكذا ..!!

ولم يجبه احد على سؤاله .. وفي اللحظة نفسها كان مريديث يهبط الدرج في عجل ، وانتحى بفايت وغريغورروف جانباً وراح يهمس لهما بكلام طويل .

وكان الجميع منصرفين عن الفتاة وهي تقف وحدها بجوار رالدرون التعس ، وعندئذ أحست بيد تلمس كتفيها في الظلام فاجفلت ... وكادت تنبعث من فمها صرخة حادة ولكنها حبستها في حلقها اذ سمعت صوتا يهمس في اذنها :

— انني صديق يا دوريس .. فدعى رالدرون يطاولهم قليلا ويعدهم بافشاء سره ..

فتظاهرت الفتاة بالاغماء وسقطت على الأرض بجوار رالدرون وما لبثت بعد قليل ان همست للمخترع بهذه الرسالة الغريبة .

فلما فرغ فايت من حديثه مع مريديت ، كان يبدو كأنه في عجلة من امره ، اذ قال للشيخ : قل للدكتور بلفاج ان يحقن الفتاة بالمخدر ويحملها الى حجرتها .. اما نحن فلدينا عمل هام الآن .

وكان مريديت قد اخبره بأن رجلا ايقوسياً قد حضر برسالة من ابن عمه الذي يعمل مع جراهام كالدويل مخترع الطائرة ،

ليخبرهم بأن رسوم الطائرة قد أعدت ... وان جراهام فرغ من اتمامها .. وعليهم ان يعجلوا بالحضور قبل ان يحمل المخترع رسومه الى السلطات الحربية .. فتم الاتفاق على ان يذهب فايت وغريغوروف ومريديت وكوريتز معاً على ان يبقى الطبيب في القصر ..

. . .

كان الطريق يمتد ميلاً بعد ميل فيبدو كشريط ابيض ملتو بين الوهاد الجبلية السوداء ...

وعلى الرغم من ان الساعة قد بلغت العاشرة من المساء ، الا ان الظلام لم تشتد حلكته بعد ، كعادة هذه الاصقاع الشمالية ، بحيث يكفي رجلاً لأن يقرأ كتاباً ..

ولكن الرجل الوحيد الذي كان هنالك وقتئذ ، لم يفكر في القراءة .. بل كان مستلقياً على العشب يتطلع الى الطريق اللامع وهو ينحني عند الأفق ، خلال منظار مقرب وضعه امامه على الأرض .. وكان قد قضى في هذا الوضع اكثر من ساعتين ، دون ان يظهر أثر لما كان يرقبه ..

وأخيراً تنهد في ارتياح ، ثم وثب على قدميه وراح يطوي المنظار ، ويخفيه في حفرة قريبة وما لبث ان مضى في تمهل الى جانب الطريق ينتظر السيارة التي رأي انوارها منذ برهة ، والتي ظل ساعتين يرقب وصولها ..

ووقفت السيارة بجانبه فانبعث منها صوت يقول : هل هذا انت يا مكفرسون ؟..

فأجاب الرجل بلهجة الايقوسيين الجبليين: اي !.. انا هو ..

ــ اني ادعى مريديت ،واني وصديقي نعمل لحساب الدكتور بلفاج ولولا انه مريض لحضر معنا ..

ــ حسناً ان كل شيء على ما يرام ..

ومضى امامهم في الممر المتجه نحو الكوخين وفتح مكفرسون باب الكوخ الصغير ، واضاء المصباح وهو يقول :

ــ هذا هو المخترع ، جراهام كالدويل ،وزميله الميكانيكي...

وكان الرجلان يجلسان متقابلين الى المائدة ، وهما يغطان في سبات عميق ، وقد وضعا راسيهما فوق اذرعهما .. على حين كانت امامهما زجاجة ويسكي فارغة ...

ــ اين الرسوم ؟..

ــ في هذا الدرج ، الى اليسار ..

فأسرع فايت واخرج الرسوم من الدرج فدسها في جيبه .

وقال على الاثر : يجب ان نغادر المكان حالاً، ونأخذ المخترع ورفيقه معنا ..

وبعد ان وضعوا الرجلين في الصندوق الخلفي الملحق بالسيارة بدأت رحلة العودة ..

وكان الليل ساكناً لا يعتكر صفوه شيء .. كما كانت الرحلة مملة ثقيلة .. وانتاب الاسباني الملل فأسلم جفونه للنوم وراح يغط في سبات عميق .. وعندئذ عاد اميل فايت الى الخطة التي اعدها لمثل هذا الموقف من قبل ، فأخرج مفتاح المحرك في هدوء ، وضرب به كوريتز فوق مؤخر راسه ضربة اودعها كل قوته ،

اصابت من الاسباني مقتلاً فاختلج جسمه مرة واحدة ثم سكن الى الابد ..

واوقف فايت السيارة ، ثم اخذ مسدس الاسباني من جيبه ، ومضى الى الغرفة الخلفية للسيارة ففتح بابها ونادى الروسي وزميله ، وكانا نائمين . . فاستيقظ مريديت اولاً يسأل عن الخبر . . فقال فايت :

- لقد توقفت السيارة ولكني لم اعد اقوى على ادارة المحرك . . تعال ساعدني . .

فأمسك مريديت مفتاح المحرك في يده ، وعندئذ اطلق عليه فايت الرصاص فجأة فخر صريعه لوقته . .

ثم تعاون مـــع الروسي على حمل جثتي الرجلين الى ناحية من الطريق . كما وضـــع فايت مسدس الاسباني في يده ، بحيث يبدو تصوير الحادث كأن الرجلين تشاحنا فضرب مريديت الاسباني بمفتاح المحرك وعندئذ اسرع الآخر باطلاق الرصاص عليه ، فخرا صريعين لوقتهما . .

وقبل ان يتركا الجثتين ويكرا راجعين للسيارة ، سمعا ازيز طائرة فوقهما على ارتفاع منخفض .. وكان الصبـاح يرسل اشعته الأولى وقتئذ ، فرأيا طائرة حمراء فوق رأسيهما كما رأيا الطيار يميل في مقعده ويلوح لهما بيده . . غير ان وجهه كان مختفياً خلف القناع الجلدي السميك فلم يستطيعا تمييزه . .

. . .

ما كاد الرجلان يعبران القنطرة المعلقة المؤدية الى القصر حتى قابلهما الشيخ في المدخل قائلاً :

– هذا هو سر الغاز ... لقد رضخ ذلك اللعين والدرون أخيراً ...

فتألقت عينا الألماني فرحاً ، وقال :

– حسناً .. وها هو جراهام كالدويل وزميله ..

وانقض على العجوز بغتة فطرحه ارضاً واوثقه بمساعدة الروسي ، ثم حملا الجميع .. العجوز وجراهام وزميله الى القبو ، وعادا الى الردهة ليتفقا على الخطوة القادمة .

وفجأة انبعثت قهقهة مروعة ، فدارت الدنيا بالالماني ، وراح ينظر حوله كوحش يوشك ان يسقط في الشرك ، وتلا ذلك صوت يقول بالالمانية :

هل كانت امسية موفقة يا هرفايت ؟..

انها الكلمات التي سمعها أمام مدخل فندق ريتز في لندن !..

ترى هل فقد صوابه فجأة ؟ ولكنه سمع بعد ذلك صوتاً مألوفاً يقول :

– يسرني ان نلتقي ثانية يا هرفايت .. هلا صعدت ..؟

كان ذلك صوت مستر أرلو .. الذي تركوه حبيساً في حجرة العمليات والذي حسبوه مات في الحريق ..

وصعد فايت والآخرون الدرج كأنهم في حلم مروع ، فاذا بالحجرة تموج بالرجال . ستاندش وروجر وغريفسون ، وغيرهم .. كما رأى دوريس فينابلز ولوفليس ..

ولم يجد فايت ما يقوله سوى هذه الكلمات التي كان ينطق بها في تلعثم :

ـ كيف .. كيف استطعتم .. الفرار ؟..

وكان اهتمامـــه بأن يسمع الجواب من الشره بحيث لم يشعر بالرجال الذين كانوا يضعون الاصفاد حول رسغيه .

ومدّ اوبين يده فتناول رسوم الاختراعين من جيب (فايت) وهو يقول :

ـ ما كان لك ان تحاول قتل المستر ارلو ، وتنجو بجلدك ..

وغمغم الالماني يقول :

ـ ولكن من تكون بحق السماء ؟

ـ اني ارسين لوبين .. الم تسمع بهذا الاسم قبل اليوم ...

« لقد كان اكبر خطأ وقعت فيه يا صديقي حين اعتقدت ان هناك قفلاً يعسر على لوبين فتحه .. »

ولكن الالماني لم يسمع بقية حديثه ، اذ اصابته نوبـــة من الاغماء اضطرت احد حراسه لأن يمسكه بيده حتى لا يسقط على الارض ..

ـ انتهت ـ

روايات اليوم

العدد القادم :

الهاربة من الموت

قصة بوليسية كاملة

بطلها

ارسين لوبين

توزيع الشركة العربية - القاهرة

الثمن [illegible]





www.ibtesama.com